السنة الخامسة		العدد ١٢		١٥ حزيران سنة ١٩٠٢

المشرق

المارتينيك

مصابها وتاريخها

للاب مرقس بربيه اليسوعيّ احد اساتذة كليَّة القديس يوسف

كان ارباب الفراسة يسرحون الابصار في عالم السياسة في غرَّة الشهر المنصرم فلا يجدون في سمائهِ ما يعكرّ صفو الهناء العامّ. فكانوا يستروحون نسمات السلم القريب بين بريطانية العظمى والبوير في جنوبيّ افريقية ويشاطرون الهولنديين افراحهم لما نالتهُ ملكتهم المحبوبة ولهلمين من الشفاء المرغوب ويحيُّون أعلام المسرَّة والبهجة الخافقة في اسبانية وانكلترة ايذانًا باعياد تتويج ملكيهما الاعظمين. امَّا فرنسة وروسيَّة فكان السياسيُّون يهنّئوهما بقرب تجديد محالفتهما الضامنة لدولتين كبيرتين اسباب الانس والولاء. فبينما كان الجميع يؤملون انقشاع آخر سحابة تكدّر افق السياسة اذ سُمع هزيم رعد قاصف ارتجفت لصوتهِ الاجشّ فرائص الكون ألا وهو خبر المارتينيك ومصابها الجلل

فانَّ بركانًا هائلًا تُشرف فوهتهُ على مدينة سان بيار كان يظنُّ الكل انَّ نيرانهُ انطفأت منذ نصف قرن ثار بغتةً والقى في عنان الجوّ كمية بالغة من الدخان الكثيف والابخرة والرماد والحُمَم البركانيَّة المصهورة فوقعت كلُّها من علُ على المدينة الرائعة قبل ذلك في بحبوبة الهناء فاحرقتها وطحنتها طحنًا في برهة بضع دقائق ولم تبقِ من مبانيها العامرة الَّا آثارًا تشهد بما لحقها من سوء الدمار. امَّا اهلها فاوى بهم الدهر ولم ينجُ منهم

غير افراد لا يتجاوزون عدد الاصابع فذهبوا فريسة حظّهم المنكود في النيران المضطرمة وكان للبركان دويٌّ عظيم يُسمع على مسافات بعيدة يخال لسامعه انّ الساعة قد قامت وأزف يوم الله الرهيب. ودام ذلك ايامًا متوالية والرعب سائد على اهل الجزيرة حتى اضطرّوا ان يُخلوا عنها هاربين لا يلوون على الاعناق

ولكي يقف قرّاؤنا على عظم الداهية التي ابتلى الله بها جزيرة المارتينيك عمومًا وحاضرتها سان بيار خصوصًا اسرعنا الى تسطير هذه العجالة جمعنا فيها من الافادات التاريخيّة والاوصاف الجغرافيّة ما رأيناهُ جديرًا بالتفات مواطنينا

*

انَّ جزيرة مارتينيك احدى جزائر الانتيل الشهيرة التي موقعها في الاوقيانوس الاتلانتيكي. وهي من جملة الانتيل الصغرى تمييزًا لها عن الانتيل الكبرى التي تشمل جزائر كوبا والجمايك وجمهوريّة هايتي وبرتوريكو وهي تُعرف ايضًا بجزائر كرائيب باسم سكّانها الاوّلين. والانتيل الصغرى وافرة العدد تملكها اربع دول: فرنسة ولها جزيرتا غوادلوب والمارتينيك. ثم انكلترة ومن جزائرها سان ڤنسان وسنت لوسي ودومينيك وسان كريستوف. ثمَّ هولندة ثم الدنيمرك

امَّا المارتينيك فيحدُّها شمالًا جزيرة سنت لوسي وشمالًا غربيًّا جزيرتا غوادلوب وجزيرة دومينيك وموقعها من العرض الشمالي ١٤° ٢٦َ امَّا طولها فهو ٦٣° ١٢َ وتكسير مساحتها ٩٨٧ كيلومترًا مربعًا. وهي عبارة عن سلسلة جبال عالية تنقسم الى قسمين او شبهي جزيرة يجمع بينهما برزخ. والعناصر المتركّبة منها هذه الجبال كلّها بركانيّة. واشهر هذه البراكين الجبل الاقرع الذي يبلغ ارتفاعهُ ١٦٥٠ مترًا الّا ان نيرانهُ الباطنيّة كانت خامدةً منذ سنة ١٨٥١

وفي لحف هذه الجبال سواحل ذات هيئات جمّة منها صخريّة مجدبة تنفذ فيها الجُوَن والخلجان ومنها ذات تربة خصبة تمتدُّ على مسافات بعيدة فيها البساتين الغنّاء والغياض الدغلة وضروب الاشجار المثمرة كالموز والاناناس والعنباء وانواع المزروعات لاسيَّما قصب السكر والتبغ والمانيوق والبنّ وليتها شهرة مستفيضة. وكان لاهلها مقاطن عدلوا منذ سنين قليلة عن استغلالها وكذلك قد اهملوا ورع شجرة الكاكاو. وهواء جزيرة المارتينيك طيّب معتدل الحرارة عند شواطئ البحر لهبوب الرياح المتواصلة. امَّا داخل

الجزيرة فانهُ شديد الحرارة وتغلب فيه على الاهلين الحمَّى الصفراويَّة التي تفتك بهم فتكاً ذريعاً لاسيَّما بعد فصل الامطار في تموز وآب

وللمارتينيك والٍ عامٌ يحكم عليها وهي تُقسم الى ايالتين فور دي فرانس وسان پيار وهما مدينتاها الكبيرتان. والاولى مركز الحكومة لها مرفأ واسع في مأمن من الرياح والانواء. امَّا سان پيار فهي مركز التجارة ومورد الثروة تقدم اليها السفن من كل البلاد. وعدد سكَّان الجزيرة اليوم نحو ١٨٠٠٠٠ منهم ١٠٠٠٠ اوربيُّون بيض و ٥٠٠٠٠ خلاسيُّون والباقون سودان كانوا سابقاً عبيداً ثمَّ حُرِّرت رقابهم سنة ١٨٤٨

*

وكان اكتشاف هذه الجزيرة سنة ١٤٩٣ مرَّ بها كريستوف كولُنب واصحابهُ يوم عيد القديس مرتينوس فدعاها باسمهِ مارتينيك الَّا انهُ لم يتلبَّث فيها بل تمَّم مسيره الى بلاد اوسع منها. فبقيت منسيَّة الى سنة ١٦٣٥ حيث نشر فوقها العلمَ الفرنسيَّ تجَّاران افرنسيَّان اسمهما لوليف (L'Olive) ودوبلسي (Duplessis) وسار اليها والي جزيرة سان كريستوف پيار بيلان (P. Belain) المعروف بسيور دينَنبوك Sieur) (d'Esnambuc او Denambuc) وحاول استعمارها الَّا ان سكَّانها الهنود الكرائيب كانوا قوماً مناوير فتصدَّوا للفرنسويين وقاتلوهم حتى أيسوا من غلبتهم فسالموهم وتوقَّلوا جبال الجزيرة فعاشوا في غاباتها الكثيفة عشائر منفردةً يرتزقون بالصيد

وكانت جزيرة المارتينيك في اوَّل الامر كملك خاصّ لشركة افرنسيَّة تُدعى شركة الجزائر الاميركيَّة ثم تولتها شركة أُخرى تُدعى شركة الهند الغربيّ الى ان أُلحقت سنة ١٦٧٥ باملاك دولة فرنسة وجُعلت سنة ١٧١٧ حاضرةَ لجزائر الانتيل الفرنسيَّة

وفي سنة ١٧٦٢ انتزعها الانكليز من ايدي فرنسة وملكوها الى سنة ١٧٨٣ فأُعيدت الى اصحابها وفقاً لمعاهدة ڤرسايل. ثمَّ توالت الحروب بين الدولتين في تلك البحار واستولى الانكليز على جزيرة المارتينيك اربع مرَّات حتى تقرَّر ملكها لفرنسة في سنة ١٨١٨ فثبت فيها قدمها دون منازع ولم يعد الانكليز منذ ذاك الحين يطمحون اليها بالبصر

وللديانة الكاثوليكيَّة في تاريخ استعمار جزيرة المارتينيك آثار طيّبة تنطق بفضل المرسلين الذين بشَّروا فيها بالايمان. فانَّ واليها دينمبوك رأى أن اقوى عامل على نجاح

هذه المستعمرة ان يدخلها المرسلون ليروّضوا طباع اهلها ويهتمّوا بشؤون المستعمرين الروحيّة. وكان الكردينال دي ريشليو عيّن لهذه الرسالة بعض افاضل الرهبان من ابناء القديس دومينيك فاجر اربعةً منهم لإنجاز هذا العمل الشريف سنة ١٦٣٥ لكنّ الظروف حالت دون رغبتهم فاجتازوا امام الجزيرة ونصبوا على ساحلها راية الصليب المقدس ثم واصلوا سيرهم الى جزيرة غوادلوب فتوطّنوها

واوّل من اسعده الحظ على بثّ الانوار الانجيليّة في تلك الجزيرة الآباء اليسوعيّون دخلوها سنة ١٦٤٠ فقلحوا كرم الرب حتى كافأها الله بعد زمن قريب بثمار جنيّة. وعاد الآباء الدومينيكيّون فاشتغلوا مع الآباء اليسوعيين وتوفّرت على يدهم نعم الخلاص في جزيرة المارتينيك وقد اشتهر منهم راهبان فاضلان ماتا برائحة القداسة الاب بيار پول (بطرس بولس) المتوفّى سنة ١٧٢٧ والاب مَرْتل (Martel) المتوفّى سنة ١٧٤٠ باشرا من الاعمال العجيبة ما لا يفي بتعداده القلم

ولمّا أُلغيت الرهبانية اليسوعيّة سنة ١٧٧٤ اصاب المارتينيك ما اصاب كثيرًا من الرسالات الكاثوليكيّة فانّ النعمة قلّوا يومًا بعد يوم حتى اصبح اهلها في اسوإ حال. لكنّ الله لم يهملهم تامًا فعُني بهم مدّةً ابناء القديس فرنسيس ثمّ عقبهم آباء جمعيّة الروح القدس مع عدد من الاخوة المدرّسين والراهبات ولجميعهم اليوم في تلك الانحاء المدارس العامرة والمستشفيات والمياتم وغير ذلك من اعمال الرحمة. وممّا يجدر بنا ذكرهُ انّ المرسلين اوّل من سعى بتحرير العبيد في جزيرة المارتينيك سنة ١٨٤٨ فاستحقّوا بذلك ثناء الاهلين الذين طالما رزحوا تحت عبء الرقّ بين ايدي البيض

*

قلنا ان احدى حاضرتَيْ المارتينيك مدينة سان بيار فلمّا كانت الرزيّة الاخيرة قد دهمت خصوصًا هذه المدينة فلا نرى بُدًا من ذكرها مع وصف البليّة التي مُنيت بها

كانت هذه المدينة في اوّل امرها حصنًا ابتناهُ السيور ديَنَمبوك سنة ١٦٣٥ عند نهر يدعى روكسلان (Roxelane) ليمتنعوا فيه من غارات الهنود. ثم صار الحصن بعد زمن قليل محطًّا للسلع التجاريّة ومرسًى للسفن الواردة من اوربّة الى ان اضحى بتمادي الزمان مدينةً عامرة لم يقلّ عدد سكّانها في السنة الماضية عن ٢٥٠٠٠ فضلًا عمّن يسكنون في ارباضها. وكانت المدينة تُقسم الى ثلاثة اقسام الحصن والمركز والمرفأ.

وحول المدينة عدّة قرى يرتزق اهلها بزرع قصب السكَّر على انَّ سوقهُ كانت كسدت كثيرًا منذ اخذ الاوربيّون يستخرجون السكَّر من الشمندر

اما هيئة المدينة فانَّها على شبه نصف دائرة وابنيتها بيضاء يركب بعضُها متن بعض على شكل الدرجات لها المنظر الجميل مع ما يحدق بها من الاشجار الباسقة والرياض النضرة وفوق رأسها شمالًا الجبل الاقرع الذي دُعي بذلك لتحطهِ الّا انَّ الاعشاب والنباتات كانت منذ عدّة سنين تزين صَلَعَهُ بخضرتهـا. وكان السيّاح لا يقدمون على سان پيار الّا يفرعون قنّتهُ لتقرَّ عينهم من اعلاه على مناظر بهجة تأخذ بالابصار وتخلب القلوب

على انَّ هذا الجبل هو الذي اصبح اليوم علّة خراب سان پيار وآفتهـا الكبرى. فانهُ من اعماقهِ لفظ تلك القذائف التي دمَّرت المدينة ونسفت مبانيها

وليس هذا البركان جديدًا بل كثيرًا ما انذر الاهلين بالويلات في الاجيال السابقة بيد انَّ غليانهُ كان هدأ وحركتهُ سكنت زمنًا طويلًا حتى ظنَّ الناس انَّ الجبَّار رقد رقادًا ابديًا. ولكن ساء ظنُّهم فما كان نومهُ الّا غرارًا

فلمَّا كان ١٦ أيار من سنة ١٨٥١ اذ افاق من سِنتهِ فثار ثائرهُ وسُمع لهُ في بطن الارض زمجرة ملأت الناس هلعًا فتزلزلت الجزيرة ومادت ابنيتها متمايلةً كالثمل السكران وانفجرت القذائف وامتدَّ الرماد في الجوّ ثمَّ انبسط على الحضيض من مدينة سان پيار الى لحف جبـل كَرْبت (Carbet) وهو اشبه بكفن سُجّي بهِ الموتى. وكانت الابخرة المتصاعدة من اغوار البركان تكاثفت في الجوّ وترلت على جوانب الجبل كالسيل العرم فازالت ما كان فيهِ سابقًا من الاشجار وجرَّدتهُ عن نباتهِ بتاتًا حتى صار كارض صلعاء ودُعي مذ ذاك الحين بالجبـل الاقرع. وفي الوقت ذاتهِ ظهر في مشارف الجبل بحيرة واسعة رائقة المياه كأنّهـا المرآة في صفائها. امّا الاهلون فكانوا يهيمون في وجوههم مذعورين لا يعرفون ما يحلُّ بهم ويتدرقون الموت الوانًا وتمكَّن منهم الهلع اتيامًا الى ان تلطَّف الله بعبادهِ وصمت البركان وانقشعت سحائب الرمـاد فعاد السلام الى قلوب السكّان وأفرخ روعهم

واخلد اهل سان پيار الى الدعة مذ ذاك العهد حتى نسوا انَّ عدوَّهم لهم بالمرصاد

وربّما اشعرهم حيناً بعد حين ببعض الهزّات (١ كانهُ يفيدهم بلسان حالهِ انهُ لم يمت وانهُ ينبغي لهم ان يسهروا لئلا يدركهم ربّ البيت في ساعة لا ينتظرونهُ فيها . بيد انّهم اصمّوا الآذان ولم يبرحوا يسمون وراء دنياهم الّا الصالحين منهم حتى ألبسهم البركان ثوبًا من نيرانهِ . فغاية ما نتمنّى ان يكون هذا الوقيد اضرم في قلوب المنكوبين نار حبهِ تعالى فمحّص عند انفاسهم الاخيرة ذنوبهم وطهّر ادرانهم فنجّاهم من نيران اخرى لا ينطفئ سعيرها

وان سأل السائل وكيف جرت هذه القارعة اختصرنا لهُ هنا ما كتبهُ احد شهود هذه الرزيئة الكبرى الفجعة قال ما تعريبهُ : في الأيام الاولى من شهر أيّار احسّ اهل مدينة سان پيار باهتزازات متعددة لم يحصل منها ضرر كبير الّا انّ هذه الزلازل كانت تتكرّر بوقت قريب فقلق السكّان لتواترها لاسيما اذ بلغهم انّ بعض المعامل القريبة من فوهة البركان طمت اليها موادّ بركانيّة فابادتها واهلكت كثيرين من عمّالها . وفي اثناء ذلك كان الناس يسمعون في قلب الارض دويًّا كدوت هدير الرعد تقشعرّ لهُ الابدان . ولكن ما كان ليدور على خلدهم انّ هذه الاصوات تنذرهم بفاجعة قريبة . وكان والي المارتينيك المسيو موته (Mouttet) لمّا بلغهُ انّ اهل سان پيار في قلق اسرع فقدم الى مدينتهم ليطيّب قلوبهم واوفد رجالًا ليفحصوا الجبل الاقرع والحمأة المحرقة التي سالت من جوانبهِ فما رجعوا الّا بعد شقّ النفس وكادوا يذهبون فريسة النيران . وفي اليوم السابق للمصاب اشتدّ الزلزال في حوالي الجبل الناريّ وتقطّعت القلوس البرقيّة الممتدّة بين المارتينيك والجُزر الأُخر . غير ان كل هذه الظواهر الخفية لم تكن الّا مقدّمةً للطامّة الكبرى التي حلّت في صباح اليوم الثامن من أيار .

فلمّا كان ضحى النهار نحو الساعة الثامنة اذ قذف البركان بغتةً كميّةً لا تحصى من

١) وقد ثبت سابقًا لذوي الاعتبار انّ جزيرة المارتينيك معرَّضة للزلازل التي انتابتها مرارًا عديدة . ولعلَّ النيران البركانيّة المطمورة في جوفها هي التي علّتها . ومن الآفات التي اصابت غير مرّة جزيرة المارتينيك الاعاصير الهائلة التي دهمتها واودت بقسم من سكّانها نخصّ منها بالذكر العاصفة الشديدة التي حدثت سنة ١٨٩١ فاخربت جانبًا كبيرًا من فور دي فرنس ونسفت نحو اربعين قرية عامرة . ومن غريب الامور انّ لاهل المارتينيك تقليدًا شائعًا بينهم انّ جزيرتهم سوف يلحق بها الدمار بانفجار بركان الجبل الاقرع

التراب والدخان فحُجبت عين الشمس واظلم الجوّ وصارت البلدة كأنها في ليل حالك. ولم يمرّ على هذا بضع ثوانٍ حتى ظهر في الدّجن المكفهرّ شبه عواميد من النار خرجت من البركان وانحطّت فوق مدينة سان بيار فصارت شعلة لهيب. وعقب ذلك سقوط قطع كبرى من الحجارة المصهورة فدام سقوطها نحو ربع الساعة. وكان ينزل على المدينة وجوانب الجبل مقدار كبير من الطين الحالك اللزج وهو يغلي غلياناً. وكانت الجرة سامّة من الحامض الكربونيك والحامض الكبريتيّ منتشرة في الهواء تخنق من يستنشقها. قال نوتيٌّ اسمهُ جان لويس بردان احد الانفار القليلين الذين تمكّنوا من الخلاص: «سمعنا اولًا صوت انفجار هائل كأنهُ صوت مدافع عديدة أُطلقت في وقت واحد. ثم رأينا إعصاراً من الدخان والنار خيّم فوق رؤوسنا كجبل عظيم. وكان الدخان كثيفاً سامًّا يحرق اكثر من النار عينها وكان اذا أُصيب بها احد سقط ميتاً على الفور. ثم رأينا غيمة من النار اكبر من عمود الدخان فاحتلّ على البلدة واحرقها كلها. امّا انا فلم اجد حولي غير الموتى. ولمّا وصلتُ بعد الضنك والعناء الى ساحل المدينة وجدت اخلاطاً من الرجال والنساء والصبيان يهيمون في وجههم ويولولون لكنَّ الدخان ادركهم فتساقطوا كالذُّباب وماتوا. ولم يَدُم انفجار الدخان والنار الّا ثلاث دقائق امّا المدينة فلعب فيها لسان النار ثلاث ساعات»

وقد أُصيبت بهذا الطوفان الناري السفن الراسية في مرفأ المدينة. ولم يخلص منهُ إلا سفينة انكليزيّة تُدعى رودام لتسارع البحّارين الى قطع انآجرها الحديديّة واحماء مراجلها بالبخار الشديد إلا انَّ كثيرين من اصحابها أُصيبوا بجروح بليغة اذاقتهم مرَّ العذاب وقتلتهم وشيكاً. وكانت سفينة اخرى تُدعى إنسك مارّة على خمسة اميال من البلد فغطّاها الرماد رغماً عن بعدها. امّا عدد القتلى فقريب من اربعين الفاً لم ينجُ من سان بيار إلا نحو عشرين شخصاً ومن جملتهم سجينٌ كان في مطمورةٍ لقي في حبسه نجاتهُ

على انَّ الاخبار الواردة بعد هذا المصاب لا تزال مقلقةً. واكثر اهل الجزيرة الناجين كان التجأوا الى فور دي فرنس والى جهات الجنوب ابتعاداً من العدوّ لكنَّ الخوف آخذٌ بمجامع قلوبهم ولا يزالون يلحّون على اصحاب الامر فيطلبون منهم ان ينقلوهم الى جزائر غيرها. ولا غرو فانَّ القذائف البركانيّة تسقط قريباً من فور دي

فرنس وتتهدَّدها بالدمار . وما قلناهُ عن سان پيار قد نال ايضًا غيرها من جزائر الانتيل كجزيرة سان ڤنسان وجزيرة سان توما وغيرها إلَّا انَّ عدد القتلى في هذه الاماكن قليل بالنسبة الى قتلى المارتينيك

فبعد هذا الوصف لا يسعنا إلَّا ان نرفع الى الله اكفَّ الضراعة طالبين من مراحمهِ تعالى رحمةً واسعة لهؤلاء المنكوبين . وبينا نحن ندوّن هذه الاسطر اطلعنا على رسالة حرَّرها احد التجَّار لاخٍ لهُ في مرسيلية هذا تعريبها : انَّ القوم منذ اوَّل هذا الاسبوع يتقاطرون الى الكنائس ويقضون صلب نهارهم في الصلاة واعمال التوبة . والكهنة يفرغون جهدهم في تعزيتهم وحملهم على الرجاء في ألطاف الباري . وفي مساء امس (٦ أيار) . فتح الكهنة كلَّ كنائس المدينة فبات الناس فيها يصلُّون ويثابرون على الاسرار ويسمعون ارشادات الواعظين فكانت اصوات عويلهم ممتزجة باصوات هدير البركان الذي يقذف من فوهاته المتعدّدة دخانًا ونارًا . . . ان قُضي علينا بالموت فلنا الثقة برحمتهِ تعالى »

وفي الختام نحيّي اولئك المرسلين رجال الله الذين صرفوا آخر ساعات حياتهم في سبيل اخوتهم لا يألون بخلاص انفسهم وهم يفتحون ابواب السماء لجماهير التائبين ييئّونهم للاقاة ربّهم ثمَّ نطلب من قرّائنا ان يذكروا في صلاتهم اخوتهم كاثوليك المارتينيك وان امكنهم ان يسعفوا بالهم الباقين منهم فلا يبخلوا عليهم بصدقتهم لان الله لا يضيع اجر المحسنين

نظرٌ في الانتقاد

على الكلم اليونانيّة في اللغة العربيّة

لحضرة الاب العالم اللغويّ المتفنن انستاس الكرملي البغدادي

وهو مختصر عن مقالة طويلة كتبها حضرتهُ منذ سبعة اشهر فلم تسمح لنا كثرة المواد من نشرها . . وهذا النظر جواب على انتقاد حرَّرهُ حضرة الكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس في المشرق (٤ : ٢٧٢ و ٣١٤)

١ً الدَّقشة والدُّقيش . انكر حضرة مناظري عجمة هاتين الكلمتين واثبت عربيّتهما . واوّل دليل اتى بهِ هو : « لانَّ مدلول الاولى منهما غير مدلول الثانية في المعنى ».

فهذا كلام لا يؤيّد النتيجة المطلوبة. واماً من ان مدلول الاولى اي الدقشة « دودة من طائفة الحشرات بقدر الاصبع وهي رقطاء تتنقّل في العشب والكلاء » فيردهُ جمهور اللغويين. قال صاحب القاموس: الدقشة بالفتح دويبة رقطاء اصغر من القطاة او طائر ارقش. وقال في التاج: الدقشة بالفتح: دويبة رقطاء اصغر من القطاة هكذا في النسخ وفي اللسان والتكملة اصغر من العظاءة (قلتُ: وفي الاصل المطبوع « القطاة » وهو من خطأ الطبع) وقيل هي دويبة رَقشاء. وذِكر الفتح مستدرك (هكذا في الاصل والاصح على ما يظهر لي «وذكر الضمّ » اي الدُقشة بضم الاول مستدرك على القاموس لانهُ لم يذكر الضمّ وهي تصحيف الدُقشة بالضمّ والفتح لانَّ من العرب من يجعل الشين سيناً وقد ذكر صاحب المزهر شيئاً كثيراً من ذلك ١: ٢٦٧) او طائر ارقش اغبر أرَيقط وتصغيرهُ الدُقيش وبهِ كنّوا قالهُ ابن دريد. وقال ابن منظور: الدقشة بالفتح دويبّة رقطاء اصغر من العظاءة وقيل هي دويبة رقشاء. او طائر ارقش. فانت ترى هؤلاء الائمة من بعد ان عرَّفوا الدقشة بكونها دويبة كالعظاءة زادوا على ذلك بقولهم: « او طائر ارقش » وبهذا المعنى صرَّحنا بأنَّها معرَّبة ولم نكر ابداً بكون الدقشة ايضاً دويبة اذ لم نتعرَّض لذلك فليراجع كلامنا (المشرق ٢: ٣٤٦)

٢ً الدسَّاس والدِيَبساس. انكر عليَّ حضرة مناظري تعريب الدسَّاس عن الديبساس: « لان مدلول صفات كل منهما لا ينطبق على مدلول صفات الاخرى » . . . ومن ذلك يؤخذ ان الكلمة العربية إنْ لم تكن بمدلول الكلمة الاصلية « بصفاتها » فليست معرَّبة وهذا كلام تناقضهُ طائفة كبيرة من الالفاظ التي اقرَّ العرب الفصحاء بعجمتها وهي مع ذلك لا تدلُّ على المعنى الاصلي. فان لفظة الكبريت مثلاً هي معرَّبة بمعناها الحقيقي لكنهم اخرجوها ايضاً من باب المجاز الى معنى الياقوت الاحمر ومن باب الوهم الى معنى الذهب قال روْبة:

هل يعصمنّي حلفٌ سختيتُ او فضة او ذهب كبريتُ

قال ابن الاعرابي: ظنَّ روْبة ان الكبريت ذهب. قال شيخنا: « وخطيءَ فيهِ لان العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الالفاظ (عن التاج بحرفهِ). راجع ايضاً المشرق (٢: ٨٤٧). أفيسمع حضرة مناظري هذا الكلام الاخير لشيخ في العلم كبير. وعليهِ فانَّهم لمَّا نقلوها الى صفات دسَّاس هذا اليوم اخطأوا في معناها دون لفظها. وانَّهم

حذفوا الباء كما حذفوا مثلها من الاحرف الذلق في كثير من الالفاظ الاعجميَّة. واذا اراد الوقوف على امثلة من ذلك فليطالع آخر كتاب الفرائد الدريَّة في اللغتين العربيَّة والانكليزيَّة للاب يوسف حوَّاء اليسوعي. امَّا من انَّهُ يستدل على عربيَّة اللفظة من اشتقاقها من الدس فهذا لا اعتبار فيهِ. فانك لو استقريت بعض الالفاظ الاعجميَّة وادّعاء العرب بعربيتها لوجود بعض المشابهة في الاشتقاق لمتَّ ضحكًا وقد ذكر المشرق بعضًا منها مثل النوتيّ من ناتَ وابليس من بلس والخندريس من خدر العروس وعيسى من العيس واطرابون من الطرب !!! (التاج)

٣ الباذق. قد ذهب حضرة مناظري الى انَّ هذه اللفظة من اصل فارسي. وبذلك يقول قول لُغويّي العرب في فارسيَّة اصلها وانا لا امنعهُ عن ذلك. الَّا ان استنادهُ على قول العرب ليس بامرٍ ذي بال لان العرب قد تخطئ في ذكر الاصل ومعرفتهِ. فان صاحب التاج ذكر ان القنصل لفظة سريانيَّة وهي روميَّة. وقال صاحب محيط المحيط: «حِرباء معرَّب حُربا بالفارسيَّة ومعناهُ حافظ الشمس». وهي في هذه اللغة آفتاب پَرَست اي حافظ الشمس او ساجدٌ لها. وهي ليست سريانيَّة كما ظنَّها صاحب البرهان القاطع بل عربيَّة محضة. وقالوا: البابوس فارسيَّة وهي سريانيَّة. وقالوا: المنجنيق فارسيَّة وهي يونانيَّة وهلمَّ جرًّا

امَّا من انهُ انكر عليَّ كون الوعاء او الظرف مثل الكاس مثلًا لا يُسمَّى آلة فهذا ممَّا استغرب بناهُ غاية الاستغراب. لان الشيء قد يكون ظرفًا او وعاء ولا مانع من ان يكون ايضًا آلة. واليك الشواهد على ذلك: المكحلة والمدهن والمسعط وغيرها فانَّها ظروف ومع ذلك فان العرب ذكرتها في باب اسم الآلة وصرَّحوا بكونها آلات او ادوات. وقال في التاج: «ويُمكن ان يُقال الوعاء آلة للحفظ» (في مادة ق ل م)

٤ العِرْبَدّ قد اورد حضرة مناظري الفاضل كلامًا طويلًا ليفهمنا ان العربدّ عربيَّة غير اعجميَّة واستدل على ذلك بانهُ حذف الباء الموحدة لزيادتها فصارت «عرد» ثم قال: ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن الكلمة اليونانيَّة بُعدًا شاسعًا (بل بعد الثرى عن الثريَّا) كما تراها في الشكل ἑρπετός اهـ. لكن من كلَّفهُ بحذف الباء ولماذا هذا العناء. والَّا لو اراد ان يثبت اعجميَّة اللفظة وعربيتها على هذا الوجه من القطع والصلم فيرى العجب العجاب. ولنذكر لهُ مثلًا واحدًا فان حضرتهُ لا ينكر عليَّ

عجمة لفظة الانجيل. فاذا حذف الهمزة والياء لزيادتهما بقي منهما «نجل» ثم حذف النون واللام لانهما من الاحرف الذُلق بقي بيدنا «ج» فعند ذلك ترى ان الكلمة صارت بعيدة الشبه عن اليونانيَّة εὐαγγέλιον وكذلك قُل عن جميع الالفاظ المعرَّبة اذا تصرَّفنا بها هذا التصرُّف

٥ً الدِمَس. لمَّا كتبتُ اصل تلك الكلم العربيَّة لم اواجع كتابًا واحدًا للمستشرقين واليوم قد طالعتُ بعضًا من تلك الاسفار تمحيصًا للحقيقة فرأيتهم رأيًا واحدًا بان الدمس يوناني الاصل وبذلك كفاية للمحققين. ومما يدلُّك على ان العرب تلقَّوا هذه اللفظة مباشرةً عن اليونان لا عن السريان انهم كتبوها بالصاد لا بالسين كما في الإرميَّة. فلو كانوا قد اتخذوها عن السريان لانظوها لفظهم وكتبوها كتابتهم كما يؤيد ذلك ما دخل من الفاظ هذه اللغة في اللغة العربيَّة وقد ذكر منها جانبًا صاحب كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانيَّة (الطبعة الثانية ص ١٨٨—١٩٠). واما انهُ يجوز كتابتها بالسين فنحن لا نرى رايهُ: ١ً للاسباب المتقدم ذكرها التي اوضحت لنا انها ليست ارمية. ٢ً لاننا وان سلَّمنا بأنَّها ارمية فلا يُجيز لنا هذا ان نرجع اللفظة الى اصلها بعد ان نقلتها العرب الى الصورة المعهودة. اذ انهم قد عرَّبوا الفاظًا بوجهٍ من الوجوه مع معرفتهم الاصل كل المعرفة ومع ذلك فانَّهم غيَّروها تغييرًا بعَّدها عن اصلها وان كان ذلك الاصل موافقًا للاوزان العربيَّة وحروفها. ألا ترى ان صاحب المزهر يقول (١:١٣٦): «ومما اخذوهُ من النبطية: المِرْعِزَّى والمِرعِزاء. واصلهُ مرمزى. والصيق: الغُبار واصلهُ زيقاء. والجُدَّاد: الخيوط المعقَّدة واصلهُ كدادى». اه فانك ان انعمت النظر في هذه الكلم ترى انهُ كان يمكن للعرب ادخال هذه الالفاظ على ما هي في اصلها لان حروفها تُقابل حروفهم واوزانها كاوزانهم ومع ذلك فانَّهم لم يفعلوا ولم يُجوِّزوا استعمالها على اصلها ولم يذكر اللغويون تلك الالفاظ في ابواب اصولها بل في ابواب معرَّباتها. وعليهِ فلا يجوز لحضرة مناظري الفاضل ان يستعمل تلك الالفاظ على اصلها لاشتهارها بصورة اخرى عند الناطقين بالضاد

واما تعرُّضهُ لكلمة «مدماك» وذهابهُ الى انَّها من اصل إرَميّ وانَّها تعريب «مدماس» (بالسين) فلم نتوفَّق الى العثور على ما عثر من الاصل الارمي. وقولهُ: «ليس في اصل هذه الكلمة (اي مدماك) شيء يؤيد عربيتها» ففيهِ نظر لانَّ

الدماك مأخوذ من دَمَك الحبل اي فتلهُ وقد نقلت العرب اموراً كثيرة عن خصائص الحبل الى خصائص البناء او ما اشبه البناء لما بين الواحد والآخر من الرابط في معنى الامتداد وتداخل الشيء بالشيء. فمن ذلك معنى الحبل نفسهُ فان معناه الاصلي: «هذا الذي يُفتل من الخيوط ونحوها ويُربط بهِ» ثم نُقل الى معنى الرمل المستطيل (كأنهُ على هيئة الحبل) من باب المجاز. وكذلك قالوا شدَّ البناء كما قالوا شدَّ الحبل. وقالوا نقض البناء هدمهُ ونقض الحبل حلَّهُ والمعنى فيهما يرجع الى امرٍ واحدٍ وان اختلف التعبير عنهُ. وقالوا تناقض البناء وتناقض الحبل. وانتقض البناء والحبل وانتكث الحبل والبناء الى آخر ما هناك من الامثال العديدة التي نضرب عنها صفحاً خوف الاطالة

٦ العَرَق. انكر عليَّ حضرة الخوري البَرّ تعريب العَرَق عن ὄρχος وفضَّل على ذلك اخذها من العِرْق من باب المجاز لكن أ يَغرُبُ عن ذهنهِ الوقَّاد ونظرهِ النقَّاد ان المجاز «لا يكون إلَّا باللفظ عينه» فلو كان من العِرق لقالوا عِرْقاً بالكسر لا عَرَقاً بالتحريك. ولو راجع امَّهات اللغة في هذا الباب لما عارضنا بهذا الجواب. امَّا استنادهُ على شهادة الاب لامنس فقد اجبنا عن ذلك في المشرق (٢: ٨٤٧)

٧ الفَلَج. لم نَرَ في دواوين اللغة الارميَّة ان فَلْجا تعني الفلج العربيَّة بمعنى النهر الصغير والذي جاء فيها انَّها بمعنى الشقّ والفَلْق او نحو ذلك. وامَّا مشابهة «فَلَجَ» العربيَّة للاصل فَلْج الارمية فلا تدفعنا الى القول بان الواحدة مأخوذة من الاخرى. فهذه النتيجة مخطوءة اذ قد يُعكس القول ايضاً. امَّا الحقيقة فهي ان اللغات السامية تتشابه في الفاظٍ كثيرة بدون ان تكون الواحدة اصلاً للثانية او بالعكس بل يُقال: ان اللفظة ساميَّةٌ لا غير. ولا تقل ابداً بانها عربية او ارمية او عبرية او حبشية لانَّ هذه اللغات كلها جماء اذا اتفقت في مشابهة الصورة الواحدة باللفظ والمعنى كما في فَلَجَ مثلاً استنتجنا من ذلك انهنَّ اخوات وانهنَّ بنات امٍ واحدة مفقودة وان تلك المشابهة فيهنَّ حادثة من الاصل الواحد وعن رجوعهنَّ اليهِ ليس الَّا. ولا يُقال ان العربيَّة من الارمية او الارمية من العربيَّة إلا اذا كانت تلك اللفظة لا توجد بذلك المعنى في سائر اخواتها والامر ليس كذلك في مادة ف ل ج. وعليه فكما ان الفَلَج بمعنى النهر تُوجد بالعربيَّة والعبريَّة والحبشية ولا توجد بهذا المعنى في الارمية نستنتج من ذلك انها اذا استُعملت

بمعنى النهر في هذه اللغة الاخيرة فقد أُخذت من احدى اخواتها . ومثل ذلك الفَلْج او الفالَج بمعنى مكيال ضخم فانها لا توجد بهذا المعنى في العبريّة والحبشية بل توجد في الارمية فقط وعليهِ ففي العربيّة الفلج والفالَج بمعنى هذا المكيال دخيل واصلهُ من السريانيّة وبذلك صرّح لغويو العرب . وان كان « يجوز » لنا ان نقول ان الفلج بهذا المعنى ايضًا عربيٌّ كما انهُ يجوز لنا ان نقول ان فَلَجًا بمعنى النهر ارميٌّ وان لم يُستعمل بهذا المعنى الى اليوم على ما وصلت اليهِ ايدينا من الكتب . وسبب هذا التجوُّز في القول هو « اللُّحْمة في الاصل » وكما انهُ جاز لاصحاب لغةٍ من هذه اللغات الاخوات تفريع المعنى على الاصل الموجود عندهم يجوز ايضًا لاصحاب اللغات الاخوات الأُخر ان يحذوا حذوهم لان الاصل واحد وعليهِ فيجوز لهم نفس التفريع الذي فرَّع عليهِ اخوانهم . فتدبَّر . وقد اشبعنا الكلام في هذه المادة لان نظائرها كثيرة والقول في التعليل واحد

والذي حصَّلناه من انتقاده على هذه اللفظة ان الفلج بمعنى النهر « من موافقات اللغات » لا من « المعرَّبات كما ذهبنا اليه اولًا . اذ انَّ اغلب اللغات تتَّفق في ان مادة « ف ل » ومبدلها « ب ل » تدلُّ على المائية ثم زادت كل لغةٍ حرفًا او حرفين على الحرفين السابقين تفنُّنًا في اللفظ او طلبًا لمعنى توهَّموهُ في الزيادة فالعرب قالت « فلج » واليونان قالوا πέλαγος والحبش والعبران قالوا פלג واللاتين قالوا flumen او fluvius والفرنسيس fleuve والسنكريت « پَلْوِ » وهلمَّ جرًّا ثم جاء الابدال فقالوا البَلّ والوَبْل والبَوْل وكلها مع مشتقاتها تدلُّ على المائية وهكذا نرى في سائر اللغات السامية . ومن مشتقات اللفظة اللاتينيَّة pluvia والفرنسيَّة pluie بمعنى المطر . ومن ذلك ايضًا vallis اللاتينية و val, vallée, vallon الفرنسية الخ الخ

٨ الفالِج . بمعنى الداء المعهود هي سامية الاصل . ويجوز لك ان تقول ايضًا انها معربة عن اليونانيَّة اذا كانت بمعنى الداء المذكور لأنَّ العرب كثيرًا ما تحذف صدر الكلمة المعرَّبة وتُبقي عجزها او تحذف طائفة من حروفها الاولى وتُبقي منها الحروف الاخيرة طلبًا للخفَّة في اللفظ . وكثيرًا ما تعكس هذا الحذف . (راجع المشرق ٢ : ٨٤٢)

وامَّا قول حضرتهِ : « ان اللغويين قد اضطربوا في تحقيق هذه المادة » الى آخر كلامهِ فليس « دليلًا كافيًا » للقول بانها معرَّبة بل مثل هذا الاضطراب كثير في اللغة

العربية الصحيحة وهذا ناجم عن اختلاف لغات القبائل لا عن اعجمية اللفظ . نعم قد جاء مثل هذا الاضطراب في طائفة من الحروف بمنزلة دليل من الادلة الشاهدة بعجمة اللفظة لا بمنزلة «دليلٍ كافٍ» يُشير وحده الى تلك العجمة وبين الكلامين بونٌ بيّن كما تتحققهُ عند ادنى تدبُّر . واماً قولهُ : «اما كلمة فالج فقد صرَّح ابو عُبيد وغيرهُ ممن عُني بجمع ما تكلمت بهِ العرب من الكلام الاعجميّ كالجواليقيّ والخفاجيّ وغيرهما انها مأخوذة عن السريانية من كلمة «فالغا» وعرَّفوها بانها قفيز» الخ . فنجيب عنهُ :

١ً ان الذي صرَّحوا بعجمتهِ هو الفالَج بفتح اللام لا بكسرها والفِلج بكسرٍ وكلاهما بمعنى المكيال . ومن احدى هاتين اللفظتين اشتقوا الفعل «فَلَجَ الجزية» اي فرضها . هذا الذي صرَّح بهِ ابو عُبيد وذكرهُ صاحب التاج . ولم نرَ «احدًا» صرَّح بعجمة الفالج بمعنى الداء . اما عجمة الفِلج او الفالَج للمكيال فلم ننكرها وان كان يجوز لنا انكارها (راجع كلمة فلج) لا بل وقد انكرها سيبويهِ . قال السيّد المرتضى : «قال سيبويهِ : الفِلج : الصنف من الناس . يُقال : الناس فِلجان اي صنفان من داخلٍ ومن خارجٍ . وقال السيرافيُّ . الفِلجُ الذي هو النصف والصنف مشتق من الفِلج الذي هو القفيز» فالفِلج على هذا القول عربيّ لأنَّ سيبويهِ انَّما حكى الفِلج على انَّهُ عربيّ غير مشتقّ من هذا الاعجمي . » كذا في اللسان : انتهى بحرفهِ . ٢ً اين رأى ان الخفاجيّ قال ان الفالَج بمعنى المكيال هو معرَّب فالذي قالهُ هذا نصُّهُ : «فَلَج الجزية فَرَضها معرَّب . ولم يَزِد شيئًا . امَّا كتاب الجواليقي فليس بيدي لأراجع كلامهُ واتثبت نقل صاحبي عنهُ

٩ً الأمّ . قد بيّن لنا حضرة الخوري حُويس ان للام بمعنى جلدة الدماغ وجهًا في العربيَّة من باب المجاز . لكننا كثيرًا ما نرى العرب يؤولون مثل هذه التأويل الفاظًا كثيرة اعجميَّة محضة ويدَّعون بعربيتها مع بينونة عجميتها وقد مرَّ بك مثل هذا الكلام في مادة الدسَّاس . ومناسبةً لهذا المقام نذكر لفظةً واحد تُشبهُ هذه الكلمة من جهة التصرُّف بعربيتها وتأويلها وهي كلمة «أَلْياس» اسم النبي الشهير . قال في شفاء الغليل (في ص ٩) ما نصُّهُ : الياس اسم نبي واسم جدّ للنبي صلعم غير عربي . وقيل عربي وزنهُ فعيال من الالس وهو الخديعة واختلاط العقل (!!!) او أفعال من رجل أَليس اي شجاع لا يفرّ . وقيل سُمّي باليأس ضدّ الرجاء ولامهُ للتعريف وهمزة وصلٍ قال قصيّ :

إني لدى الحرب رخيّ اللّبب أُمهتي خندفُ والياس أبي

وسُمّي السل: داء اياس وداء الياس لان الياس مات منهُ (كذا). ذكرهُ السهيليُّ.
(قلتُ: والذي عندي انهُ من اليأس لان المسارل لا يُرجى لهُ شفاء ومثل اليأس الاياس بمعناه) ثمَّ انهُ لا يضرّ المعرَّب كونهُ موافقاً للفظ عربي كسُكَّر فانهُ معرَّب. وان كان عربيَّ المادَّة بمعنى اغلق. اه

فانت ترى في بعض التـآويل من التكلُّف والتعسُّف والتمحُّل ما لا يخفى على العاقل عند أدنى تأمُّل

منتخبات

من ديوان الدكتور شاكر بك الخوري

وقفنا على ديوان الدكتور البارع شاكر بك الخوري فوجدنا فيهِ من القصائد الحسنة ذات المعاني المبتكرة والابيات البارعة ، ما كان لنا اقوى دليل على أنَّ الدكتور لا يطبّب فقط الابدان بل يطبّب ايضاً الارواح بطُرَف شعره المطبوع فاحببنا ان نفكه بشيء منهُ ألباب قرّاء المشرق

فمن ذلك ما قال من قصيدة في مدح المثلث الرحمات البطريرك حنّاً الحاج عند ما نال الوسام العثماني الاول في مقابلة ما تبرَّع بهِ على دار العجزة في الاستانة

ان تُوّج الرأسُ فالاعضاء نائلةٌ ما نالهُ من رفيع المجد والشانِ
لا يفلحُ المرء يوماً في وظيفتهِ ما لم يكن فيهِ طبعاً شرطُها الباني
شرط الرئاسة قلبٌ لا يخاف اذًى ولا يُبالي بتهديدٍ وعدوانِ
عقلٌ لشهوات نفس عاقلٌ ابداً قساوة ثمَّ لينٌ بعضَ احيانِ
طَرفٌ على كل امرٍ ساهرٌ يقظٌ وغضّهُ عن مُسيءٍ بعض ازمانِ
ولا يضيّع امراً وقت منفعةٍ ولا يحرّك امراً وقت خسرانِ
هذي رئاسة دنيا لا تبالي بها ونحن نتبعها حفظاً لوجدانِ
لكن سياسة دين انت تابعها هي سياسة احسان وغفرانِ

ومنها :

احسنت حبّاً باحسان بلا غرض لمذهب او لجنس او لأوطانِ
لا فرق عندك ان اعطيت ذا عوزٍ ما بين ابناء سوديّا وسودانِ

ان كنت بطرك دينٍ عند طائفةٍ فبالمروّة بابا كلّ انسانِ

ولهُ من قصيدةٍ قالها عند ما جلس على الكرسي البطريركي غبطة السيد البطريرك مار الياس الحويك المشهور بالزهد والتقى والدعة

تزهّد في متاع الارض حتّى تراهُ كأنهُ فيها الغريبُ
ومن قفل الجيوب لزهد دين اليه اليومَ تنفتح القلوبُ
علا فوق الثرى حتى الثريّا بنفسٍ حرّةٍ لا تستهيبُ
سوى ما كان ضدّ الله امرًا وما متضررٌ منهُ القريبُ
لفضلٍ نال هذا العرش حقًّا ولم يمنحهُ اياهُ النصيبُ
وفكرُ الكل متفقٌ عليهِ وفكرُ الكل متفقًا مصيبُ
وشعبٌ واحد لم ينتخبهُ الى هذي الاريكة بل شعوبُ
فكنّا قبل ان خُضنا حديثًا على خلفٍ ليحيى(١ مذ يغيبُ
اشار الكل مع شكر اليكم واول شاكرٍ هذا الطبيبُ
اذا سألت قداستكم لماذا اشير اليكمُ فانا المجيبُ
اذا الجنديُّ وافى عن بعيدٍ ألم يعرفهُ من زين رقيبُ
فانتم قد لبستم ثوب طهرٍ وذا ثوب البطاركةِ المهيبُ
بهذا الثوب قبلًا قد عُرفتم وليس لعرفهِ امرٌ عجيبُ
فلا لون الحرير ينوب عنهُ ولا يعتاضهُ البرد القشيبُ
تحلّ البطركيّة أينَ حلّت فليس سواه جلبابٌ رهيبُ

ومنها :

نشرتم طيبكم شرقًا وغربًا وليس لفضلكم ابدًا غروبُ
ولا في قولكم اقوال ريبٍ ولا في صيتكم امرٌ يشوبُ
حوى صدقًا وزهدًا ثم علمًا وحبّ الله صدرُكم الرحيبُ
اذا ألفيتُ اربعةً سواكم نظيركمُ فمن هجوي اتوبُ

وقال عندما نال غبطتهُ نيشان القبر المقدَّس :

لمّا رأى القبر المقدّس قلبَكم في كل ايلٍ طائفًا في انسهِ

١) يريد المثلّث الرحمات البطريرك يوحنّا الحاج سلفهُ

وافاه بالامس لرد زيارة ويرى قداسة قلبه في نفسه
فزها على صدرٍ يفيض طهارة فكأنهُ لم يفترق عن قدسه
وكان الامضاء: قديمًا شاكر الخوريّ حديثًا شاكر البطرك
واحيانًا لمطران اذا قاستني شكرك

ولهُ في ابنتي الامير سليم بن منصور الشهابيّ واسمهما سلمى واسما وكانت امهما تدعى نورًا. وفي الابيات اشارة الى الامير بشير الكبير الشهابيّ :

تشاورت الفضائل في سماها لتُرسل بعضها للارض قسما
فقد اخذت شهابَ الجوّ سلكًا يضمُّ الارضَ والعلياء ضمًّا
وقد كان الشهاب لنا بشيرًا يبشّر ارضنا عدلًا وحلما
ولمَّا بات منصورًا عليها فاضحى والدًا والنورُ امًّا
لذا دُعيت بإسم بني شهابٍ وقد اخذت لها في الارض حكما
وقد اعطت لذي عقل سليمٍ ليُعطي الكلَّ ألقابًا وأسما
فسمَّى الظَّرفَ والإدراكَ سلمى وسمَّى العلم والآداب أسما
فسلمى من عيوب الارض سلمى واسما من سماء الجوّ أسمى

ولهُ في شاب اسمهُ فؤاد تصفتهُ المنيَّة في مقتبل العمر وهو ابن وحيد بين سبع اخوات. وكان ذا حسب ونسب وعلم وعمل فقال الدكتور يعزّي والدهُ قصيدةً هذا مطلعها :

ان كان قصد رثائي أن اعزّيكا فلم اجد كلمةً بالقصد تأتيكا
فكلنا عند ذا في موقفٍ حرجٍ فالصمتُ احسن شيءٍ من معزّيكا

وقال في ختامها :

ان شئتَ في هذه الدنيا معالجةً في ذا المصاب فلن تلقى مداويكا
فالله اقوى معزٍّ في مصائبنا فهو الوحيد الذي عنّا يعزّيكا

وقال في حادثةٍ اخرى مثل السابقة بيتًا مفردًا ارسلهُ الى والد الفقيد :

انَّ الذي ابكاكَ قد ابكاني فمن الذي منّا يعزّي الثاني

وتوفيت امرأة رجلٍ من اصحابهِ اسمهُ يوسف وكان اسم المتوفاة مريم وهي سيّدة فاضلة معروفة بفضلها وعفافها فكتب هذه الابيات تحت صورتها :

تخاصمتِ السما والارض حتى تنالك هذه او تلك قسما
فقضَّلتِ المماتَ على حياةٍ لكي لا تجعلي في الكون خصما

فأعطيتِ السما نفساً تذكّت ... كما ابقيتِ في ذي الارض جسما
لعفّة مريم جدّدتِ ذكرًا ... يعطّرنا كما أحييتِ إسما
فلن ينساكِ يوسفُ حيث أحيا ... لحسن جمالكِ المشهورِ رسما

ولمّا كان معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ أقيم لكرستوف كولومب تمثال جميل وطلب اصحابهُ ابياتاً في كلّ اللغات تُكتَب تحتهُ فقال الدكتور شاكر واشار الى اسم كولومب ومعناهُ الحمامة وعرّض بحمامة نوح وبالروح القدس الذي حلَّ على المسيح على شكل حمامة :

قد كنتَ حيًا يا كُلُمْبُ حمامةً ... أغنتْ شكاغو عن حمامةِ نوحِ
واليوم فيها قد حللتَ ولم تكن ... من قوم نوحٍ بل حمامة روحِ
فجميع ألسنة الورى أنطقتها ... شعرًا على تمثالك الممنوحِ

وقال من مدحٍ لبعض الوزراء نال وسام النسر الاسود وكان سابقًا حصَّل عدَّة نياشين بحيث اذا عرضها على صدره غطّتهُ لكثرتها :

تسابقتَ في أوجِ المعالي مع النّسر ... فقصّر عنك فاستراح على الصدرِ
سماء غدا ذا الصدرُ اذ هو قد حوى ... هلالًا ونسرًا مع بَها الانجم الزُّهرِ
وما انا ممّن يرصد الصدر ظاهرًا ... ولكنْ رصدي ما حواهُ من الكبرِ
اذا كان ظهرُ الصدر جمعُ جواهرٍ ... فباطنهُ جمعُ الشهامة والطهرِ

وقال يذكر صفات الشعر ويذمّ الذين يسرقون اقوال غيرهم ويكثرون المديح بلا داعٍ ويكرّرون المعاني المبتذلة :

فغيري يقول الشعر عن فكر غيرهِ ... ويعتبر التقريظ فرضًا لمن وُلُّوا
وينسب للممدوح ما ليس عندهُ ... ولو كان اعمى العين زيّنها الكحلُ
ولكنّ شعري وهو فكري مترجمٌ ... فؤادي ولم يذكر صفاتٍ لمن يخلو
وما هو عندي مهنة او بضاعة ... سوى مقصدٍ للجدّ يسترهُ الهزلُ
لذلك لا اخشى بيان حقيقةٍ ... ولو غضب الموصوف وانقطع الحبلُ
وما حسنهُ الّا حقيقةُ ما بهِ ... ولا بجرهُ مرٌّ ولا وزنهُ ثقلُ
ولا يحدثنَّ للسامعين تثاؤبًا ... ولا يدعِ الحضّار ان سمعوا ولّوا
ولا الشمس والاقمار والظبيُ والقنا ... ولا عنترٌ او حاتمٌ لهُ دخلُ
افضّل كسر الشعر مع حسن سمعهِ ... على نظمِ موزونٍ لسامعهِ قتلُ

ولستُ بنظمي مادحاً من احبُّهُ ولا هاجياً بل قائلاً ما هو الشكلُ
فشعريَ للموصوف مرآةُ خلقهِ يُري صورة الموصوف فهو لهُ ظلُّ
لذلك ان ابديتُ هجواً ومدحةً فكن واثقاً فيما اقولُ وما اجلو

وشكَت اليهِ امرأة بعض الوجهاء من قصيدة قيلت فيها وكان ناظمها قد بالغ في الاوصاف اذ شبّهها بالبدر والشمس وما شاكل ذلك فقال الدكتور بديهاً :

ما شبّهوكِ بالبدور لنورها ما انتِ حقّاً للشموس ضياء
لكن لبعد منالها ووصالها فهي وانتِ بالتوال سواء

فكان سرور السيدة بهذين البيتين اكثر منها بقصيدة الناظم رغماً عن اسهابها في الوصف

ومن فكاهاتهِ ما قالهُ في امير يُدعى حافظاً كان عيّاً لا يحسن الجواب لكنَّ الدكتور شاكراً باحثهُ مدّة فكان يجيبهُ حسناً فتعجب الناس من ذلك. فقال :

اميرٌ حافظٌ ابداً صموتٌ وقد عدوهُ من بُكم الزمانِ
وقد انطقتُهُ لمّا رآني فظنّوا انّني بلعام ثانِ

وقال في رجل يدعى يونس طلب من بعض الوجهاء ان يتوظّف عندهُ :

أيا من نجلُ لهُ مجلسٍ أيونس تختارهُ مؤنسا
ألا تذكرُ الحوت مع هضمهِ عقيب الثلاثة قا (١ يونسا

ولهُ في احد اصدقائهِ يدعى شكري كان نسبهُ الى المبالغة في بعض اقوالهِ :

نعم انَّ شعري في الانام حقيقةٌ فلا احدٌ في الكون يسطو على فكري
ولستُ لغير الحقّ يوماً بشاكرٍ وان قلتُ غير الحقّ فليلعنوا شكري

وكتب تحت صورة سيدة تُدعى مريم تصوَّرت ببزَّة الحرب على شكل المريخ اله اليونان :

لبستِ لبس الإلهِ قد كان في الروم يُكرَمْ
فنحنُ ابناءُ قومٍ لنا عبادة مريمْ

وكتب تحت صورة سيدة أُخرى تصوَّرت على هيئة الجنّ بشباكٍ على جسمها :

مهما اشتبكتِ بسرٍّ هل تُخفي شمساً شباكُ
وان لبستِ كجنٍّ ما انتِ الّا ملاكُ

---

١) اراد « قاء » فخفف

وجرى لهُ خصام مع رجلٍ من احدى أُسر لبنان الشريفة يدعى شبلاً فارسل الى اهلهِ هذين البيتين :

لكم يا بني السادات في الناس رفعةٌ .. فما احدٌ من فوقها ابداً يعلو
فانتم اسودُ الغاب في حومة الوغى فاعلاكمُ سبعٌ وادناكمُ شبلُ

واتاه رجلٌ مفرط السمن فجلس على متمد دارهِ فانكسرت خشبتهُ المعروفة بالجحش ثم اعتذر بان الجحش ركيك فقال مازحاً :

سمينٌ قد علا ديوانَ داري فكسَّر جحشهُ وبغى اعتذارا
فقال يَخورُ جحشُك قلتُ كلاّ فانَّ الجحش لم يحمل حمارا

وكان في ليلة ساهرة مع قوم يتناشدون الاشعار اذ ملُّوا وطلبوا الورق ليلعبوا فساء ذلك الدكتور شاكرًا فقال :

ولقد حفظتُ عن المسيح وصيةً اي قولهُ لا تحقدوا بل اصفحوا
وعصيتهُ في طرح نظمي بينكم يا ليتني لم اعصِ في لا تطرحوا

يريد قول الرب : لا تطرحوا جواهركم امام الخنازير

واتاه رجلٌ كان عرفهُ في مصر يبيع التبغ وادَّعى انهُ صار لهُ هناك اعتبار كبير وان الكلَّ يكرمونهُ فقال الدكتور :

تقول بمصر قد غدوتُ مكرماً فما عندنا شكٌّ بفوزكَ والنَّصر
لقد ذكر التاريخ من قبلك لنا بانَّ اخاكَ الثور يُعبَدُ في مصر

ودخل على رجل يحبُّ المقامرة فكلَّمهُ في شيء وهو يلعب . فلمَّا انتهى اللعب وخسر الرجل قال : أنَّما خسرت لانَّ الدكتور شاكرًا ألهاني عن التروّي اللازم فقال عن لسانهِ :

الهيتني يا شاكرًا ما هكذا فعلُ الصديقْ
فاجبتهُ اني الذي يلهي الحمار عن العليقْ

وقال في احد الكهنة من بيت الاسود (والاسود الحبَّة) تخرَّج في مدرسة الآباء اليسوعيين :

رجالُ ايشوعَ اضحوا اعجوبةً في المساعي
لو ارشدوا اليوم ذئباً لاصبح الذئب الراعي
وخيرُ مسعى اتوهُ تغيير نسل الافاعي

وللدكتور الشاعر فكاهيات أُخرى كثيرة سينشرها قريباً في مجموع ديوانهِ الذي دعاهُ « مجمع المسرات » وفي ما اقتطفنا منها دليل للقرَّاء على ما لصاحبها الاديب من طلاقة اللسان وجودة المعاني وسلامة التعبير

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مار يوحنا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

حالة دير مار شليطا من سنة ١٦٤٠ الى ١٦٨١

البردوط سركيس محاسب الرئيس الثاني على مار شليطا والعلامة الدويهي

خلف القس حنا محاسب باني دير مار شليطا ورئيسهُ الاوَّل ابنُ اخيه البردوطُ سركيس محاسب بن خليل محاسب وكان لبس الاسكيم الرهباني منذ نعومة اظفاره تحت ادارة عمه القس حنا الرئيس الاوَّل وتولَّى على الدير قبل موت عمه بخمس سنوات اي سنة ١٦٣٥ استناداً الى كتابة محرَّرة على هامش كتاب من كتب المكتبة. ولم يُرزق الدير قطّ حظّاً رُزقَهُ ايام رئاسة سركيس فازهر بالفضيلة والعلم ونجح في الماديَّات. الَّا ان الفخر الاثيل الجدير بالذكر الذي فاخر به الاديار هو حلول الدويهي في ربوعه ولذا يجدر بنا ان نستطرد الكلام الى ذكر مآثر شخصين جمعتهما العناية في هذا الدير في عصر واحد فنتكلم اولاً عمَّا فعلهُ البردوط سركيس في جانب ماديات الدير وادبياته ثم ننتقل الى آثار علامتنا الدويهي في مار شليطا وهذه الآثار ايضاً منها ماديَّة ومنها ادبيَّة. فالمادية اخصها بناء محل لسكنى البطاركة وبناء مار عبدا القائم على شاطئ نهر الكلب والحاقهُ بدار مار شليطا مقبس كما يشير الى ذلك في تاريخهِ (صفحة ٢٥٠). اما الآثار الادبيَّة فهي قداسة السيرة والمثل الصالح امام جمهور الدير وهذا تدلنا عليه ترجمتهُ التي وعدنا مراراً بنقلها عن تاريخ الازمنة المخطوط في مكتبتنا دير الكريم. ومن مآثره ايضاً من هذا الباب انهُ نفخ في صدور سكان هذا الدير روح محبة العلم فحدا بهم الى نسخ الكتب وعزَّز المكتبة بان احضر اليها مجلَّدات عديدة بقي منها حتى الآن قسم كبير رغماً عن طوارق الحدثان وتلاعب الايدي بهذه الكنوز التي جهل قيمتها اهل بلادنا في عصر مدَّ الجهل سرادقهُ فوق رؤوسهم. ثم نلحق ذلك بايراد بعض كتابات صدرت من ديوانهِ عثرنا عليها بين اوراق الدير

ولنبدأ الان بذكر ما فعلهُ البردوط في جانب ماديَّات الدير وادبياته. قال الدويهي

في معرض كلامه عن البردوط (صفحة ٢٤٩ من تاريخه المطبوع):« واقتنى للدير عقارات كثيرة » . والحق يقال ان صكوك المشترى الموجودة حتى الآن في الدير تحقق ما تقدم ففي سنة ١٦٤٦ اشترى عقارًا للدير من خليفة بن الغبالي من قرية بطحا المجاورة لقرية غسطا . وسنة ١٦٥٧ اشترى الاراضي المجاورة لجهة الدير الغربيَّة من اولاد رزق ابن المقدَّم من درعون . ولمَّا ان رأى سكَّان كسروان فضيلة سركيس ورهبانه وما ينجم عنهم من الخير اخذوا يتسابقون في وقف ما يملكونه لوجه الله الكريم حبسًا على الدير ففي سنة ١٦٤٢ وقف ابو سلامه عويظا من قرية دلبتا كامل املاكه فيها على الدير على يد المطران اسحاق الشدراوي ومن الشهود يوحنا ابن المطران المذكر والخوري حنا من اصنون(١ . وعثرتُ بين اوراق الدير على وصية امرأة من بيت محاسب صوَّرت لي بنوع حسي فلسي ارملة الانجيل وهذه الوصية كتبها البردوط بخطّ يده ننقلها هنا بحرفها الواحد بيانًا لطريقة الانشاء في ذاك العصر

« وصية ام عبد الله بنت الخوري حنا محاسب »

« انا الخوري سركيس خادم دير مار شليطا كنت حاضر على هذه الوصية وكان حاضر ابنها زوجها أبو عبد الله وسلفها ابو سليمان سميا وصهرها ادريان وحماتهم وصّت ان العريشة القارية التي فوق عين الجرن (٢ تكون لدير مار شليطا في قداديس . ووصت في عريشة مرواح تكون اختها « الحجة رفقة » تتصرف فيها وتنقدس لها . ووصت ايضًا في حملين ورق وشتوق زعرور على دالية قارية يكونوا لابنتها المسياء . ووصت ايضًا ان اولاد اخوها يقدسوا لها ٤٠ قداس واولادها لا يستحقوا عند اولاد اخوها حق من حقوق الشرع . وهذا الذي صار قدامي وكتبت هذه الوصية في هذه الورقة بعد موتها بعشرين يوم وكتبناها لاجل خلاص ذمتها وذمتنا . كُتبت في ١١ يوم من شهر ابلول ١٦٥٥ ربانيَّة »

وممَّا فعلهُ ايضًا في جانب ماديَّات الدير تجديده بناء الكنيسة . قال الدويهي (ص٢٤٣) :
« سنة ١٦٧٣ لمَّا وقعت كنيسة مار شليطا مقبس جددها الخوري سركيس على يد البنَّاء القس جرجس الايوني (٣ »

وتاريخ هذا التجديد ملصق على جدار الكنيسة الغربيّ على يمين الداخل من بابها الغربيّ باحرف سريانيَّة :

« ܫܢܬ ܐܠܦ ܘ ١٦٧٣ ربَّان تمجد هذا الهيكل المبارك في ايام سيدنا البطرك الانطاكي

---

١) قرية من قرى الزاوية لجهة الجنوب الغربي من زغرتا
٢) هي العين التي يستقي منها اهل غوسطا حتى ايَّامنا
٣) ان في تاريخ الازمنة الخطي المحفوظ في مكتبتنا بعض اختلاف بشأن نسب القس جرجس

اما ما فعلهُ البردوط بشأن الاديات في ديره فنقول ان ما كتبهُ عنهُ الدويهي (في الصفحة ٢٤٩ من تاريخهِ) اكبر دليل على حسن حالة الدير من حيث الفضيلة والسيرة النسكية قال الدويهي عنهُ: «كان رجلًا دينًا عابدًا سمحًا فأدخل سيرة النسك في

والشيخ ابو نوفل واولاده المكرمين وبعناية ابن المحاسب الخوري سركيس وكان البنّا القس جرجس» نورده هنا نقلًا عن الصفحة ٣٣٢ «ثم ان الكنيسة هبط قبوها وعاد القس سركيس فجددها في سنة ١٦٧٢ مسيحية على يد القس جرجس البنّاء الذي في الاصل كان من اميون من بيت المازر ثم لبس اسكيم الرهبنة على يد القس يوسف بن اصاف وتبع الكنيسة الرومانية» انتهى

ومما نعرفهُ عن هذا القس الماهر بصناعتهِ في ذاك العصر ان الدويهي استخدمهُ في كل البنايات التي سعى بانشائها. تشهد على ذلك كتابة علقها بشأن عمار دير مار سركيس اهدن راس النهر ودير مرت مورا ودير سيدة حوقا عثرت على هذه الكتابة في آخر تاريخ الازمنة الخطي في مكتبة الاب اغناطيوس المادي في قرية مراح الزيات نوردها بحروفها بيانًا لتاريخ هذه الاديار ونشرًا لبعض حسنات الدويهي التي يعجز عن وصفها وتعدادها الواصفون

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡ (١

«فلمّا كان تاريخ سنة ١٦٩٠ في التشارين كان تجديد عمار دير مار سركيس اهدن راس النهر وذلك ان العمارة القديمة كانت على قناطر في التحتى والعليا وبعد ما ترعزعت رمّمها ابن عمنا المطران بولس المرحوم مرّتين. وبعد منهُ سكن في الدير ابن اخينا الخوري ميخائيل ردم قناطره في زمانه ثم بعد مدّةٍ من الزمان القناطر رفست الحايط الغربي وانشق السقف ثبت مدةً لا احد يسكنهُ ولا يعرفهُ ولا يحملهُ حتّى دثر اساسه فوضعنا يدنا عليهِ وعزلنا القناطر كلها واقمنا حايط متين في الوسط وعمرنا قبوين في السوق الجواني قدام كل كنيسة قبو وفوق منهم قلالي والسوق البراني على خشب واقمنا الحائط الغربي من الارض وطالع وكانوا معلمين اربعة من رشيا والمتكلم عليهم ولدنا القس جرجس البنّا الماروني اصله من قرية اميون في الكورة ودورنا طاحون وكل دائرتها خير ما كانت اولًا ثم اننا رفعنا ابن عمنا القس جبرائيل الى درجة المطرنية وصرفناه فيهِ. وكذلك سنة ١٦٩١ عند ما ترهب ابو مخائيل انطونيوس من اصنون مسكنا يده وعمرنا لهُ دير مرت مورا فكان كلهُ خراب ما عدا الكنيسة وعمرنا السوق الشمالي والخزانة التي بين الكنيسة والشير اقية فوق منهم عليتين. اسأل الحق سبحانهُ وتعالى يرزقنا شفاعة هؤلاء القديسين ودعاء الكهنة والرهبان الذين يخدموهم

«ثم حدث ان هبط حايط سيدة حوقا البراني الذي هو داخل الدارة وبادرنا الى محبة المعلمين في اصلاحها وكان ذلك في ايام اخينا المطران يوسف سليمان المترّس على الدير المذكور كانت سنين صعبة بسبب عزلة بيت حماده من الحكم وتغيّر الدول سبحان من يغيّر ولا يتغير. ثم في سنة ١٦٩٥ اندعوا اولاد عميره على بساتين دير راس النهر في قرية زغرتا وكنا نحن غايبين فدفعنا لهم ٣٠ غرش وابطلنا دعوتهم قدام اولاد الضبة وكتبوا لنا حجة ان ما لهم حق ولا مستحق في

١) هذه الميم (ܡ) مقطوعة من كلمة ܡܣܟܢܐ اي الحقير. وعليه فليصلح ما جاء في الحاشية ٢ من الصفحة ٣٠٢

بلاد كسروان. . . وكتب بخطّ يده مجلدات عديدة وكانت لهُ هيبة وكرامة عند جميع الناس حتى صار قدوة صالحة لكل الرهبان»

ومن المعلوم انَّ مثل الرئيس يؤثّر في المرؤوسين وممَّا كتبهُ الدويهي عن الرئيس يتبيّنا عن حالة مرؤسيه فكان سركيس ورهبانه الافاضل يقضون النهار مشتغلين في حراثة الارض على مثال النسَّاك الاقدمين ويأتون مرارًا الى الكنيسة لقيام الفروض الالهية يسبحون ربّهم قسمًا كبيرًا من الليل محاربين الجسد المتمرّد. وفي ايّام الاحاد والاعياد كنت تراهم مشتغلين بنسخ الكتب تشهد لذلك العبارة الملقة على اكثر كتب المكتبة التي نسخها رئيسهم البردوط مع رهبانه وهي بحروفها: «وانكتب هذا الكتاب ايام الاحاد والاعياد»

وقد بحثنا بحثًا حثيثًا في المكتبة لعلّنا نهتدي الى تلك المجلدات العديدة التي نسخها سركيس كما قال الدويهي فلم نعثر الَّا على ما يلي فكأن الايادي تناقلتها الى حيث لا نعلم وذهبت فريسة عدم الاكتراث والحرص. وهاك فهرست ما نسخهُ البردوط حسب تاريخهِ

سنة ١٦٣٤ نسخ منطق يوحنا الدمشقي. عثرت على هذا الكتاب في قرية جران عند الخواجا فارس طنّوس الخوري المعادي وفي آخرهِ ما يلي:

«الله يرحم يد خطّت وسطرت يا قاري الخط بالله قول امينو (امين). تمّ كتاب يوحنا الدمشقي القس العظيم بعون الله وحسن توفيقهِ كان الفراغ من نسخته بشهر اب بخمسة وعشرين سنة اصحى ١٦٣٤ ربانية في ايام سيدنا البطرك حنا الحدناني (١ الجالس على كرسي دير الست السيدة مرت مريم قنوبين وفي ايام سيدنا المطران اسحاق الشدراوي وفي ايام سيدنا المطران جرجس ابن عميرا وفي ايام سيدنا المطران يوسف الماتوري وفي ايام سيدنا المطران يوسف البلوزاني القاطنين في دير قنوبين يرحمنا الرب في بركة صلواتهم. وكمل هذا الكتاب على يد الخاطئ الحقير الراهب سركيس ابن الحاسب من قرية غوصطا الله يحرسهُ من كلّ شرّ شيطاني امين. وقبل تلك السنة بسنة جات الاجربي (٢ في البحر الى ابن معان (معن) وجا كجك احمد من الشام وحرقوا بلاد الشوف والحمد لله وحده امين. وهذا الكتاب لا يباع ولا يشرا لان انكتب فيهِ في ايام الحدود والاعياد الربانية وكل من يجاسر يبيعهُ ام

دير راس النهر ولا بشيء من رزقه ساحل جبل تحريرًا في سنة ١٦٩٣

١) لعلَّهُ اراد سنة ١٦٣٣ لانَّ في سلسلة البطاركة للعلامة السمعاني التي طبعها القس يوحنا نطين وفي سلسلة البطاركة للعلاَّمة الدويهي (المشرق ١ : ٢٥٢) ورد ذكر وفاة يوحنا مخلوف في ١٠ كانون الاول سنة ١٦٣٣

٢) يريد الاجربة جمع جراب. قال في القاموس: هي السفينة الفارغة

بشتريه يكون محروم من الله ومن جميع القديسين لكن ينار محبةً الى المحبين حتَّى يقروا فيهِ ويردُّوهُ الى موضع اخذوه وبعده بالسريانيّة: ܐܫܬܠܡ ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܟܪܙܐ ܡܘܫܒܚܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܘܡܫܠܡܢܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܒܝܘܡ ܐܪܒܥܐ ܒܫܒܐ ܕܝܪܚ ܐܕܪ ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬܡܐܐ ܘܬܠܬܝܢ ܘܬܫܥ ܐܝܕܝܗ ܕܐܝܬܘܗܝ ܕܡܘܩܒܐ ܕܗܠܐ ܡܩܕܫ ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܫܠܝܛܐ(٢ » انتهى

وسنة ١٦٣٩ نسخ الانجيل عربيًا باحرف سريانيّة وعبارته سخيفة للغاية وفي آخره عبارات سريانيّة يستدل منها على اسماء المعاصرين من بابا وبطريرك واساقفة وكهنة ورهبان سكان الدير المذكور ثم كتابة عربيّة بما معناه « وكان المتني بكتابة هذا الانجيل (اي قدَّم لوازمهُ من حبر وورق) ابراهيم ابن طانيوس من قرية اهدن »

وسنة ١٦٤١ نسخ اسفار الانبياء واسفار الملوك وسفر طوبيًّا بالعربيَّة. وفي آخر الكتاب ما يلي (بحروفهِ):

اذا لم تكن تقرا وانت فاهمو فموتك اخير من حياتك دائمو
نهارك بطَّال وليلك نائمو وعيشك في الدنيا كعيش البهائمو

هذا ما عثرنا عليهِ من الكتب المخطوطة بيد هذا الفاضل ونأسف على فقدان باقيها ثم أنَّنا لا نرى بدًّا من نشر فضل شخص خصَّهُ الدويهي بعبارة ثناء في تاريخهِ وهو القس جرجس افرام الباني الناسخ الشهير في مكتبة مار شليطا وهاك عبارة علامتنا: « وكان رفيق البردوط سركيس في التعب والرهبانيَّة القس جرجس ابن افرام الباني ». والحق يقال ان هذا الراهب يستحق ان يذكر اسمهُ على صفحات المشرق فقد خلف في المكتبة مجلات عديدة لم تزل حتى الآن في الدير رغمًا عن تلاعب الايدي بهذه المخطوطات نذكرها هنا تباعًا ثم ننتقل الى ذكر كتب اخرى نسخها غيره من الرهبان سكان الدير. اما الكتب التي اتى بها العلامة الدويهي الى المكتبة فانَّنا نأتي على ذكرها بعد سرد ترجمتهِ. وهاك فهرست الكتب التي نسخها القس جرجس افرام الباني

سنة ١٦٥٠ نسخ وهو بعد شدياق كتابًا عنوانهُ « شرح تمام الكاهن ورتبته ودرجته في بيعة الله » ولا ذكر للمؤلف وممَّا يتبادر اليهِ التصوُّر ان واضعه احد تلامذة مدرستنا المارونيَّة في رومية. وهاك بعض هذا الكتاب: الفصل ١ في معنى اسم الكاهن.

---

١) معناها هنا عمي الخوري حنا

٢) اي تمَّ هذا الكتاب المبارك الحاوي تعليمًا لاهوتيًّا وفلسفيًّا سنة ١٦٣٠ في ايام عمّي الخوري يوحنا وايام الخوري ابراهيم والاخوة الرهبان جرجس واليا الساكنين في دير مار شليطا

ف ٢ في بيان فرق الكهنة (اي وجه الفرق بين كهنة العهد الجديد والعتيق) . ف ٣ في تفسير دستور (سلطان) كاهن نصراني الخ . والكتاب مقسوم الى خمسة كتب

سنة ١٦٥١ نسخ كتاباً عنوانهُ « الكمال المسيحي تصنيف الكردينال ريشليو امير من امراء فرنسة وحوى ٤٦ فصلًا » كذا بالحرف . وفي آخر الكتاب ما يلي :

كمل هذا الكتاب في نهار الاحد في عيد القديس انطونيوس ١٧ من ك ٢ سنة ١٦٥١ وكان كمالهُ على يد انسان خاطي غشيم يدعى باسم شدياق جرجس ابن افرام المرحوم من جبل لبنان من القرية المعمورة بان وكان كماله في الدير المعمور مار شليطا مقبس عمال بلاد كسروان على زمان قدس سيدنا ماري اينوشنسيوس وعلى زمان وكيله في الشرق مار يوحنا بطرك الموارنة وفي ايَّام ساداتنا المطارنة اولًا المطران اسحاق الشدراوي والمطران ايلياس الحدناني والمطران يوسف الحصارتي والمطران بولس الصفراوي والمطران جرجس البشعلاني (حبقوق) والمطران يعقوب الرامي والمطران مخايل الحصروني والمطران يعقوب المتساري وفي ايَّام معلمي الخوري سركيس رئيس الدير المعمور وايَّام اجاتي الكهنة الخوري مخايل والقس عازر والقس حنا والقس صافي والقس بطرس والقس نجم والخوري جرجس والقس ايلياس والشدياق يوحنا ابن حبيش

ويلي ما تقدَّم :

هذا كتبتهُ يدي والخط يشهد لي اني ساتركهُ يوماً وارتحلي (ارتحل)

يا ساكن الدار لا تنسَ الرحيل ابدًا وكل ساكن دارٍ سوف يرتحلي (يرتحل)

وقد اعتاد النساخ كتابة مثل هذه العبارات المؤثرة . ففي آخر الانجيل العربي الذي عرَّبهُ الشيخ يعقوب الدبسي الحلبي وجدت هذه العبارة لناسخ الكتاب وهو زخريَّا بن مرقس الكاتب الملكي (كذا يدعو نفسه) والكتاب في مكتبة طائفتنا في حلب قال : « اليد التي رسمت اقوالك تنبسط لغفرانك والراس الذي انحنى في كتابتك يرتفع يوم اتيانك والعينان اللتان قوَّمتا الفاظك تبصران مجد ملكوتك » انتهى . وهذا الكتاب مثال جميل للخط النسخي الكامل الصفات

وسنة ١٦٥٢ نسخ كتاباً عنوانهُ « نبدأ باسم الله وحسن توفيقه نكتب اخبار حياة القديسين وبعض من حياة سيدنا يسوع المسيح » . وفي آخر الكتاب : « كمل تفسير حياة القديسين الذي اعيادهم مأمورين من اب الآباء وراس الاحبار العظيم بابا رومية في جميع المسكونة وهم المذكورين في الاشهر » . وهذا الكتاب عبارة عن مختصر سنكسار رتَّبهُ احد تلامذة رومية (١ ومنهُ ينتج انهُ كان للسنكسار في طائفتنا نسخ عديدة

١) ان اول من ادخل عندنا السنكسار الروماني هو ابن القلاعي . ففي تاريخ الازمنة الخطي

قبل ان جمعهُ ورتبهُ السعيد الاثر المطران جرمانوس فرحات وتُرى حتى الآن في دير سيدة طاميش المسودة بخط يد هذا الاسقف. وقبل ان سعى المطران جرمانوس بهذا العمل المفيد كنت ترى في اخر فرض كلّ من القديسين حياة صاحب العيد. ومما يُظن ان احد تلامذة رومية سعى اولا بجمع شتات السنكسار فضمهُ الى مجلد واحد وزاد عليهِ تذكارات مأخوذة عن سنكسار الكنيسة الغربيّة. واقدم كتاب من هذا النوع بعد هذا الكتاب الذي وجدتهُ في مار شليطا السنكسار الذي نسخهُ القس اندراوس ابن الخوري آصاف وهو في مكتبة دير مار عبدا هرهريا نُسخ سنة ١٦٦٠ تحت نمرة ٣٨٧ وقد فُقدت اوراقه الاولى وفي آخره حياة ماري اغناطيوس مؤسس الرهبنة اليسوعية. وفي مكتبة حلب نفسها يوجد نسختان للسنكسار وعنوان النسخة الواحدة « سنكساري حسب الشرقية » والاخرى « سنكساري غربي ». الّا ان هذا السنكسار الاخير لم يدرج في الطائفة كما يستدل من كتابة عثرتُ عليها في غوسطا ملصوقة على كتاب رسائل بولس الرسول المطبوع لاول مرة في قزحيا: وهذه الكتابة يظهر منها فائدة تاريخيّة مهمّة عمّا جرى على الكوديكس او فهرست الاعياد من التقلب في طائفتنا الى ان رتّبهُ اخيرًا البطريرك يوسف التيان وهو المعول عليهِ في ايّامنا (١. وهذه الكتابة هي للبطرك يوحنا الحلو وهاكها بالحرف:

« فليكن معلومًا عند الجميع انهُ اذ كان تقسيم فصول رسائل ماري بولس هذه طبعت حديثًا في قزحيا لم يطابق اعياد طائفتنا المارونيّة حسب ترتيب السنكساري الدارج عندنا بل انهُ مطابق السنكساري اللاتين الذي ترتّب في مدينة حلب اولا في انهُ يدرج في الطائفة لكنهُ ليس فقط لم يسلك في الطائفة بل قد تحرّم استعمالهُ في المجمع الذي انعقد بزمن سالفنا البطرك سمعان عواد الصالح الذكر في دير مار انطونيوس بقماته (٢ بموجب رأي مطارين الطائفة وعلمائها وارادوا بان تستمرّ الاعياد والتذكارات في موقعها حسبما هي معينة في السنكساري القديم الذي تهذب اعرابه من المطران جرمانوس فرحات الصالح الذكر لمّا كان راهبًا في دير مار اليشع. ولهذا السبب قد سبق سالفنا

في مكتبتنا صفحة ٣٠٨ لمّا يعدد الدويهي مؤلفات ابن القلاعي يقول هذه العبارة بالحرف « ونقل الاستنكار الروماني الى العربي »

١) قابل بين كلندار الطبعة الاولى للشحيم في رومية وبين كلندار الطبعة الاولى لكتاب قداسنا الخ وبين الكلندار الذي وضعهُ البطرك يوسف اسطفان ٢) عقد سنة ١٧٥٦

البطرك يوسف تيان المحترم ورتب تقسيم فصول الانجيل على أيام الاشهر حسب هذا السنكساري المار ذكره كما هو مطبوع في كتاب قنداق القداس الذي طُبع في قزحيا. ولكي يكون تقسيم الرسائل مطابقاً تقسيم الاناجيل الزمنا رتبنا هذا الفهرس الشهري لان الفهرس القمري مطابق للسنكسار القديم فلا يلزم تغييره. حُرّر في ١٧ تموز سنة ١٨١٩ مكان الختم الحقير يوحنا بطرس

البطريرك الانطاكي

فهذا ما توصلنا اليه من معرفة تاريخ التقلّبات التي جرت على الكلندار بوجه الاختصار والتغييرات التي جرت على السنكسار قبل ان رتبهُ المطران جرمانوس. غير ان المجمع اللبناني يشير الى ضرورة تأليف لجنة للنظر بامر هذا السنكسار وغيره من الكتب الطقسيَّة واصلاحها وكل يعلم ما في السنكسار من الشبُهات والروايات التي يقتضي استنادها الى اقوال المدققين والمؤرخين الموثوق بهم كالبولنديين وغيرهم

وسنة ١٦٥٣ نسخ القس افرام المذكور كتاب مقتطف الاسرار ليوحنا الحويشي المعمدان الحصروني الدومنيكي الماروني (انظر تاريخ الدويهي). وفي آخر الكتاب ان القس ايلياس احد رهبان الدير كان بدأ بنسخه ومات قبل ان ينجزه فكملهُ القس جرجس افرام الباني

وسنة ١٦٥٧ نسخ كتاب مواعظ المطران يوسف حليب العاقوري

سنة ١٦٥٨ نسخ مواعظ ابن القلاعي واول عظته بدءوها كما يلي: « يقرأ يوم حد السبعين وهو أحد الريسة. والشاهد الاولون يصيرون اخرين ». وكنت اودُّ الاطالة في وصف خواصّ هذا التأليف بياناً لطريقة الانشاء في عصر ابن القلاعي الّا انّني عدت بعد مدة الى المكتبة فلم اجد الكتاب هناك... ونسخ في هذه السنة لاهوت العلامة تاورا وهو مترجم بقلم احد تلامذة رومية

وسنة ١٦٦٠ نسخ كتاب شرح الاعتراف ولعلهُ لابن القلاعي ايضاً فان الدويهي في تاريخه (صفحة ١٥٣) يشير الى ان ابن القلاعي وضع كتاباً في هذا المعنى

وفراراً من الاطالة نقول انهُ يوجد لهذا الناسخ عدا ما تقدَّم مجلدات أُخرى روحية اكثرها ممَّا ترجمهُ تلامذة رومية لافادة الموارنة نضرب عن ذكرها صفحاً. هذا ما عدا الكتب التي يحتمل انَّهُ نسخها للعلامة الدويهي عند اشتغاله بالتأليف في هذا الدير. ومن

المعلوم ان عددًا عظيمًا من هذه المجلدات قد استصحبه السمعاني معهُ الى رومية وقسم آخر منها تناقلتهُ الايدي. فرحمة الله على فضلاء الرهبان

امَّا ما نسخهُ باقي سكان الدير من الكتب فهو دون النزر وليس من وراء سرده افادة الَّا اننا نخص بالذكر منهم راهبًا فاضلًا قضى مدةً في هذا الدير ثم انتقل الى ريفون مع ابن عمته المطران يوسف مبارك الرئيس الاول على دير تلك القرية وكتب هناك عدة كتب وهو الخوري عون نجيم الغسطاوي وسنتكلم عن الكتب التي نسخها في مقالتنا على دير ريفون

هذا ما امكنا التوصل اليهِ من حالة الدير في رئاسة البردوط سركيس. وفي عدد آخر نوجّه الابصار الى شخص الكامل السعيد الاثر البطريرك اسطفان الدويهي الذي نزل هذا الدير وشرَّفهُ باعمالهِ الخطيرة (الباقي للآتي)

كفن السيد المسيح

في مدينة تورين

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

ها قد مرَّ اربع سنوات مذ طرق اسماعنا خبر عجيب دوى لهُ عالم العلم والدين معًا. بشَّرتنا الجرائد والنشرات العلمية انَّ احد مشاهير المصوّرين رسم بالتصوير الشمسي نسيجًا كان يزعم الكاثوليك استنادًا الى تقليد قديم انهُ ذخيرة كفن المسيح وكان على النسيج آثار دارسة لشخص يصعب تمييزهُ فاذا بالصورة الشمسيَّة بيَّنت صورة بديعة تمثّل المسيح كما سُجّي ساعة وضعهِ في قبرهِ. فلم تزل مذ ذاك اليوم تتناوب في المجلَّات مقالات العلماء. فمنهم من يُفتي بصحَّة الكفن ومنهم من ينكر وينسب هذه الصورة الى بعض المصوّرين في القرون المتوسطة وطال الجدال وكثر القيل والقال

وكنَّا نحن في اثناء ذلك نرصد حركات المناظرين لنميّز الغثَّ من السمين ولذلك سكتنا حتى الان لئلا نُلقي بقرَّائنا في دركات الضلال والبهتان ريثما تبوخ نيران الخصام ويهدأ قسطل المجادلين فيعود بينهم السلام. واليوم رأينا هذا الامر لم يَعُد محصورًا في

دوائر الصحافة بين اهل الجرائد بل اعارتهُ النـدوات العلميَّة بالًا فاخذ الأعلام من ارباب العلم يتباحثون في شأنهِ و يرون فيهِ من العجائب ما لا يمكنهم ضرب الصفح عنهُ. فمن ذلك انَّ المكتب العلميّ الفرنسويّ ادرج في مجلّتهِ الشهريَّة مقالةً خطيرة في هذا الصدد. فلا مُندحة بعد ذلك من ان نوقف قرّاءنا على حقيقة الامر جارين في ذلك مجرى العلم دون تطرُّف. ومراعاةً لايضـاح المقصود نذكر اولًا تاريخ هذا الكفن ثمَّ نبحث ثانيًا عن الصورة التي يمثّلها

١

يفيدنا الانجيل الطاهر (متى ٢٧: ٥٩ ومرقس ١٥: ٤٦ ولوقا ٢٣: ٥٢) انَّ يوسف من الرامة طلب من بيلاطس جسد السيد المسيح بعـد موتهِ على الصليب واشترى كتّانًا نقيًّا ولفَّـهُ فيهِ قبل ان يضعهُ في القبر. وزاد القديس يوحنا (١٩: ٣٦) ان «نيقودمس جاء ومعهُ حنوط من مرّ وصبر نحو مئة رطل» وانهُ اجتمع ويوسف «فاخذا جسد يسوع ولفّاه في لفائف كتّان مع الاطياب على حسب عادة اليهود في دفنهم». ولمَّا قام المسيح لذكرهِ السجود وجاء بطرس ويوحنّا ليريا القبر (يوحنا ٢٠: ٦ و٧) وجدا فيهِ «الاكفان موضوعةً والمنديل الذي كان على رأسهِ غير موضوع مع الاكفان بل ملفوفًا في موضعٍ على حدتهِ»

فلسائل ان يسأل ماذا حلَّ بكفن المسيح (او باكفانهِ كما يقول يوحنا) بعد قيامة الربّ؟ أنقول انَّ العذراء مريم والرسل والمؤمنين الاوّلين ألقوا هذه الذخائر الثمينة فلم يكترثوا لها فاخذتها ايدي الضياع؟ لا لعمري فانَّ من يعلم حرص قدماء المؤمنين على حفظ الذخائر المقدَّسة واجساد الشهداء لا يستطيع ان يسلّم بمثـل هذا التغافل في ما يختصُّ بذخائر ابن الله الكلمة المتجسد وربّ الشهداء. فلا بُدَّ اذن لن نقول انَّ كفن المسيح بقي سالمًا مصونًا بكلّ تُقىً واكرام بين ايدي نصارى اورشليم الذين اخفوهُ كما اخفوا بقيَّة ادوات آلام المسيح لمَّا خرجوا من المدينة المقدَّسة قبل فتحها على عهد طيطس سنة ٧٠ فبقي الكفن محجوبًا عن العيان الى زمن الملكة هيلانة أمّ قسطنطين الكبير. والتاريخ يفيدنا عنها انَّها بحثت عن الصليب وعمَّا ينوط بآلام ابن الله حتى فازت بطلوبها وقد وزَّعت منها على الكنائس قسمًا واخذت القسم الاكبر الى القسطنطينيَّة. فلا شكَّ انَّ الكفن المقدَّس من جملة هذه الذخائر التي اصابتها هيلانة فاغنت بها كنيسة الله

ولكن اين يا تُرى نُقل هذا الاثر الجليل هل ابقتهُ هيلانة في جملة ذخائر القدس الشريف او اخذتهُ معها الى حاضرة ملك ابنها فزيّنت بهِ احدى بيع القسطنطينيّة ؟

هنا مشكل كبير لا يمكننا فكّهُ وازالة كلّ شُبهاتهِ لقلّة الآثار التاريخيّة التي بلغت الينا ولعلّ الاصحّ ان نقول ان كفن السيد المسيح ليس كفنًا واحدًا بل اكفانًا عديدة كما يؤخذ من آية يوحنا التي ذكرناها آنفًا. وفي قول الحبيب « كما هي عادة اليهود في دفنهم » دليل آخر على كثرة الاكفان لأننا نعلم انّ اليهود كالمصريين في ذلك العصر كانوا يكثرون اللفائف والاكفان لتسجية موتاهم

وما لا مرية فيهِ انّنا نجد في اواسط القرن الرابع عشر ثلاث كنائس في فرنسة تتفاخر كلٌّ منها بذخيرة كفن المسيح. الاولى كنيسة كادوين (Cadouin) في اقليم شمبانية. والثانية بيزنسون من امّهات المدن الفرنسويّة. والثالثة ليراي (Lirey) في اقليم بريغُرد ليس بعيدًا عن مدينة تروا (Troyes)

وهذه الاكفان الثلاثة كان فرسان الفرنج أتوا بها من الشرق فانّ كفن كادوين نُقل اليها من انطاكية وكان وُجد فيها سنة ١٠٩٨ لما كان يحاصرها قوام الدولة كربوقا وهو لم يزل مكرّمًا في كنيسة كادوين منذ القرن الثاني عشر وقد حجّ اليهِ كثيرون من ملوك فرنسة واعيانها ووقفوا عليهِ الاوقاف الدارّة. وهو عبارة عن قطعة من النسيج طولها متران و ٨١ سنتيمترًا وعرضها متر و ١٣ س. وهي من صنف الانسجة المستعملة في مصر لدفن الموتى

والكفن الثاني هو كفن بيزنسون كان اوّلًا في القسطنطينيّة ففي سنة ١٢٠٤ حصل على هذه الذخيرة الثمينة اوتون دي لاروش فارسلها الى رئيس اساقفة بيزنسون فبقيت هناك مكرّمة معظّمة الى زمن الثورة الفرنسويّة ففُقدت مع ما فُقد آنئذٍ من ذخائر اولياء الله وكان هذا الكفن من الكتّان طولهُ متران و ٦٠ س وعرضهُ متر و ٣٠ س وعليهِ صورة السيد المسيح في قبرهِ

والكفن الثالث هو كفن تورين الذي عليهِ مدار كلامنا. أتى بهِ احد اعيان فرنسة غدفريد دي شرني (G. de Charny) من فلسطين وكان اهداهُ اياهُ اوغون الرابع ملك قبرس شكرًا لهُ عن الخدم الجليلة التي اداها اليهِ في حروبهِ فشيّد غدفريد كنيسة كبرى لهذه الذخيرة في ليري على مسافة ثلاثة اميال من مدينة تروا وجعلها فيها

١٣٥٣ . لكنَّ البعض شكّوا في صحتها واخذوا يناصبون اصحابها ويتهددونهم بالحرم اذا عرضوها لاكرام المؤمنين ودام النزاع الى سنة ١٤٦٧ حيث سمح البابا بولس الثاني بعد الفحص القانوني بعرضها لاعين الجمهور ليقدموا لها فرائض الاكرام

وكانت الذخيرة المقدَّسة صارت وتنتقل في يد حنَّة دي لوسينيان ابنة حنا الثاني ملك قبرس . ولمَّا كانت حنة المذكورة امرأة دوق دي سابوديا اخذت معها كفن المسيح الى مدينة شمبيري من اعمال سابوديا فصار مذ ذاك الحين في ملك دوقة سابوديا وملوك سردينية توارثوهُ ابًا عن جدّ الى زماننا . ونُقل هذا الكفن الى عدَّة امكنة وكان حيثما حلَّ تعظمهُ الجماهير المجمهرة وتحجّ اليهِ الامراء وكبار الدولة والزوَّار لتبرُّك بنظرهِ

ولمَّا كانت سنة ١٦٩٤ انجز الملك فكتور اميداي الثاني بناء فاخمًا اعدَّهُ في تورين قريبًا من بلاط الملكي وملاصقًا للكنيسة الكاتدرائيَّة نُقل كفن المخلص بحفلة عظيمة ورونق بهيّ ووُضع في صوان من الفضَّة وجُعل الصوان فوق المذبح الذي تحت القبَّة وأُقفل بثلاثة اقفال يحفظ مفاتيحها كلٌّ من قداسة البابا وجلالة الملك واسقف المدينة . وهو لا يُخرج من صوانهِ الَّا مرَّةً في نحو كل عشرين سنة بحضور الاكليروس واعيان الدولة وجمّ غفير يتقاطر الى هذه الحفلة من كلّ انحاء اوربَّة

وهذا الكفن المقدَّس من الكتَّان الناعم الدقيق النَّسج لم يدخل فيهِ شيء من الصوف او مادَّة أُخرى ويضرب لونهُ الى الصُّفرة لقدم عهدهِ وطولهُ اربعة امتار وعشرة سنتيمترات في عرض مترٍ و ٤٠ س . وعلى جوانبه آثار حريق حدث سنة ١٥٣٢ فالتهمت النار ما حولهُ وذهبت بصوانهِ المعدني ولم تمسَّ الَّا اطراف الكفن المقدَّس باعجوبة ظاهرة حملت اعداء الدين على القول بانَّ هذا الكفن ليس هو من الكتَّان بل من لفيف الاميانت (amiante) الذي لا يحترق بالنار وهو زعمٌ يردُّهُ مجرَّد النظر الى نسيجهِ الذي هو من الكتان الخالص كما سبق

٢

وممَّا يستلفت انظار الناظر الى هذا الأثر انهُ يُرى عليهِ شبحان كشبحي انسان ميت تمثّلان وجهُ وظهرهُ من رأسهِ الى قدميهِ . وصورة الوجه تقابل صورة الظهر . وهذه الصورة كانت تظهر بجلاء اعظم قبل اربعمائة سنة كما ورد وصفها في روايات المؤرخين

على انَّ تقادم عهدها قد محا كثيرًا من دقائق الصورة حتى يصعب تمييز تقاطيع الجسم بعضها عن بعض الّا الوجه الذي كان يظهر منهُ شبه وجه انسان اذا تأمَّلهُ الناظر بانعام النظر

وكان الذين يشاهدون هذه الصورة لا يدرون اصلها وفصلها وطريقة رسمها وحقيقة تدوينها على الكفن الّا ان الكاثوليك كانوا يزعمون انَّها رسمٌ عجيب لجسد المسيح لمَّا كُفِّن في هذا الكتان الذي لفَّهُ فيهِ يوسف الرامي بعد ان انزلهُ عن الصليب . وكان غيرهم يؤكدون انَّ هذه الصورة لاحد المصوّرين في القرن الثالث عشر او الرابع عشر ويسندون قولهم الى رسالة احد الاساقفة الذين ناصبوا صحَّة هذه الذخيرة في القرن الرابع عشر

فتلك كانت حالة كفن تورين والناس بين مصدّق ومكذّب اذ حدث في سنة ١٨٩٨ حادث حارت لهُ العقول واندهشت الالباب وحدت باكثر العلماء على القول بصحَّة هذا الكفن . وكان هذا النسيج المقدَّس عُرض في ذلك العام في معرض أُقيم في تورين للمصنوعات التقويَّة ثم دُعي المؤمنون لاكرامهِ مدَّة ثمانية أيام فخطر على بال اعضاء اللجنة ان يأخذوا رسمًا شمسيًّا من هذا الاثر القديم ظنًّا منهم ان شبحيَّة التصوير بواسطة الاعمال الكيمويَّة تمثل في الزجاجة الفوتوغرافيَّة دقائق لم تشاهدها العين . فاستدعوا لهذا الشأن رجلًا ذا شهرة ذائعة في التصوير ومعرفة العاديَّات وهو الكاڤليار پيا (Pia) الايطالي فعرض اوَّلًا صورة الكفن للنور امام صفيحة حسَّاسة مدَّة خمس دقائق فلم يجد الصورة طبق مرامهِ . فكرَّر ثانية العمل ورسم الصورة على زجاجة كبيرة طولها ٤٠ س في عرض ٦٠ س وعرض الصفيحة للنور مدَّة ثُلث الساعة . فلمَّا اراد اظهارها بالعوامل الكيمويَّة اذا بصورة عجيبة تمثّل شخص المسيح الكريم على هيئة الهيَّة اخذت بمجامع قلوب كل الذين رأوها . ومن غريب الامور انَّ صورة الصفيحة الزجاجية لم تكن صورة سلبيَّة كما يجري عادةً في الرسوم الفوتوغرافيَّة التي تبيّن اسود ما هو ابيض في الاصل والعكس بالعكس بل كانت الصورة ايجابيَّة وهو اعظم دليل على انَّ الصورة المرسومة في الكفن كانت هي سلبيَّة . فاستدلُّوا بذلك على انَّ صورة السيّد المسيح كانت تصوَّرت في نسيج الكفن على مثال التصوير الشمسيّ اعني ان الاقسام الناتئة في جسد المسيح كانت سوداء في الكفن والاقسام الغائرة كانت بيضاء . وادرك العلماء كيف انَّ الذين

وصفوها سابقًا لم يمكنهم ان يدركوا سرّ تصويرهـا تمامًا. ومن ثمّ التزم الكاڤليار بيا لينال صورًا ايجابيَّة ان يتّخذ صفيحة ثانية نقلت الى تصوير سلبيّ الصورة الايجابيَّة التي نالهـا اولًا. وعلى هذه الصورة السلبيَّة رسم رسومًا متعددة ايجابيَّة كما فعلنا نحن لتدوين هذه الصورة في مجلّتنا. على انّنا لم ندوّن الّا نصفها اعني الوجه دون الظهر وقد طبعنا في جانبها صورة الرأس مكبَّرة مع صورتي رأس المسيح المنسوبتين الواحدة لملك الرها ابجر والثانية للقديسة فيرونيكا ليقابل القرّاء بين هذه الصور الثلاث

وكأني بالقارئ يوقفني عند هـذا الحدّ فيسألني وكيف حصلت هذه الصورة في الكفن المقدَّس؟ أليست هذه الصورة عمل مصوّر بارع رسمها على هذا النسيج؟

قلنا ان هذا الزعم التجأ اليه البعض لينكروا صحّة الكفن المقـدَّس إلا انّ هذا القول قد بطل اليوم بعد ظهور الصورة بواسطة الفنّ الفوتوغرافي. ولبطلانهِ اسباب (الاول) منها ان هذه الصورة كما قلنا صورة سلبيَّة ولم يخطر حتى الان على فكر مصوّر ان يصوّر مثالهُ على هذه الطريقة. فايّ مصوّر يا ترى اذا اراد رسم شخص يصوّر الناتئ من صورتهِ ناتئًا ابيض والناتئ منهـا مسودًّا غائرًا. فلو صنع ذلك مصوّر لعُدَّ صنيعهُ ضربًا من الهزل. والسبب (الثاني) انّ في هذه الصورة المرسومة على كفن تورين من الدقّة ومراعاة مناسبة الاعضاء واحوال الربّ في موتهِ ما لا يمكن لقلم بشريّ ان يرسمهُ فان ملامح وجه المخلّص جامعة لعواطف قلبهِ الالهيّ ساعة وفاتهِ فيلوح فيها من الهيئة والجلال والرفق والوداعة والحزم ما لا يليق الّا بالهِ. فترى المسيح كانهُ راقد ينتظر ساعتهُ ليقوم ثانية ويحيي العالم بقيامتهِ. ولو افترضنا ان مصوّرًا صوّر هذه الصورة كما زعموا لتحتّم علينا القول انّ هذا المصوّر كان آيةً في زمـانهِ غلب اكبر المصورين شهرةً. دون ان يعرف باسمهِ احد. لا بل وجب القول ان هذا المصور كان يحرز من العلوم ما يندر وجودهُ حتى في يومنا مع تقدّم الصناعة. فمن ذلك انّك ترى نقط الدم السائلة من راس المخلّص ليست كما كان المصورون يصورونها سابقًا اعني متساوية اللون بل تراها كما هي في الواقع ناصعة الحمرة في الجوانب باقتمًا في الوسط. وكذلك آثار المسامير ليست هي في الكفّين كما كان يظن القدماء بل في الزندين. وذلك الصـواب لان جسم المصلوب لا يثبت على الصليب لو عُلّق بمسامير في كفّيهِ. وكذلك آثار الصدر والبطن في الكفن تدلّ تمامًا على حالة جسم المصلوبين من انتفاخ الصدر وتقعّر البطن

ومن هذه الآثار الدالَّة على انَّ هذه الصورة ليست لمصوّرٍ ان جرح جنب المسيح ليس موقعهُ على يسارهِ كما يصوّرهُ المصوّرون بل على جنبهِ الايمن لانَّ الجنديَّ لو اراد طعن قلب الربّ من جانبهِ الايسر لما استطاع ذلك فاقتضى الامر ان يطعن جنبهُ الايمن ومنهُ نفذت حربتهُ الى قلب المخلّص فجرى الدم والماء كما ذكر يوحنا البشير

ومنها ايضاً ان اثر السياط الرومانيَّة وثمارها (اطرافها) في جسم المسيح عند جلدهِ ظاهر على الكفن بدقَّة عجيبة لم يبلغها حتى الآن احد من المصورين حتى انَّهُ يُستدلّ على تركيب هذه السياط من اثرها الباقي في الكفن

اما تناسب اعضاء المخلّص في الكفن فامر يقضي بالعجب فانَّ الاقيسة بينها محفوظة بضبط لا يمكن لاحد ان يدركها

فكلّ هذه الادلَّة وغيرها كثيرة لا يسعنا هنا تعدادها تبيّن صريحاً انَّ الصورة ليست عمل مصوّر كما أجمع اليوم على ذلك كلّ المحقّقين

فتُرى ما هي اذن هذه الصورة ؟ أتكون آيةً من آيات الله لعبادهِ ؟ او يمكن تعليلها بعلَّة طبيعيَّة

بينا كنَّا في انتظار الجواب على هذا السؤال اطَّلعنا على عدة كُتب ومقالات لقوم من العلماء كالعلَّامة رابواسون (Raboisson) وارتور لوث (A. Loth) وهنري بيدو (H. Bidou) وكُلسون (Colson) وفينيون (Vignon) وغيرهم وكلُّهم لسان واحد على انَّ هذا الصورة ليست لمصوّر بشري لكنَّهم يعزونها الى سبب طبيعي

فبعضهم يزعمون ان هذه الصورة حدثت في الكفن بقوَّة الكهرباء التي ظهرت آثارها في ساعة وفاة السيد المسيح كما اخبر الانجيليون اذ تزلزلت الارض وتفتَّحت القبور. وهم يؤيدون قولهم ببعض أخبار حدث فيها مثل هذه التصاوير بقوَّة كهرباء الجوّ وقت الزوابع وحلول الصاقعة. غير ان هذا الشرح ليس بمقنع لان الزلزال الذي حدث ساعة موت الفادي ليس بحادث كهربائيّ ولا نجد آنئذٍ اثراً للصواعق والانواء بل كانت الشمس ساطعةً الى ان كُسفت كما روى الانجيليون

وزعم غيرهم ان الحنوط الذي وضعهُ نيقودموس على جسد الربّ وكان متركباً من المرّ والصبر وصنوف الاطياب (يوحنا ١٩: ٣٩ و ٤٠) امتزج بدم المسيح الطريّ فاثر في الكفن ورسم صورة الجسد. وهو تعليل غريب ليس لهُ نصيب من الصحَّة لان مثل

هذه الصور تكون غايةً في الخشونة سيئة التصوير. وقد سبق على خلاف ذلك ان صورة المسيح في الكفن دقيقة جداً محكمة الصنع

ولهذا الحادث العجيب تعليلٌ ثالث شاع اليوم بين العلماء. واكثرهم جانحون الى تصويرهِ نخصُّ منهم الاستاذين كلسون وفينيون واصحاب هذا الرأي يذهبون الى ان صورة الكفن هي اول تصوير شمسيّ حدث في العالم. قالوا ان الكتّان الذي لُفَّ بهِ جسد المسيح كان تأثّر من المرّ والصبر فصار بمثابة الصفيحة الفوتوغرافيَّة المهيَّأة للتصوير حسّاساً قابلاً للآثار. فلمّا وضع جسد المسيح الطاهر في هذا الكفن اخذ رسم صورة الجثة لا بقوّة النور كما تتأثّر الزجاجة الحسَّاسة اذا عُرضت بازاء صور المحسوسات ولكن بقوَّة الابخرة المنبعثة من جسد المسيح. والذين ارتأوا هذا الرأي أيَّدوا قولهم باختبار عجيب فانّهم اخذوا نسيجاً طلوهُ بالصبر وجعلوهُ بازاء يدٍ ورأسٍ من الجصّ نقعوهما بزيج الامونياك فظهرت بعد مدّة صورتهما على النسيج وهم يزعمون أنَّهُ كان ينبعث من جسد المسيح ابخرة من الامونياك نجمت من العرق الذي كان يترشَّح منهُ

لكن اصحاب هذا الرأي يشترطون لرسم هذه الصور شروطاً عديدة يزعمون انَّها كلّها تمت بعنايةِ الهيَّة في دفن المسيح. فمن ذلك انهُ ينبغي ان يكون الجسم صحيحاً لا اثر فيهِ من الفساد ويستنتجون من ذلك ان جسد المسيح لم يبقَ زمناً طويلاً في القبر ولم يؤثّر فيهِ الفساد

قلنا هذا الراي لو صدق كان لنا اقوى حجّة على صحّة الاناجيل المقدّسة ورواياتها الاربع عن آلام المسيح وعن دفنهِ وعن قيامتهِ المجيدة. فنشكر الله على نعمةٍ خوّلها عصرنا فألقم الحجر افواه الملحدين الذين ينكرون اليوم الوحي وكلام الله المنزل وينسبون الاناجيل الى اختراعٍ بشريّ

على أنّنا نجد ايضاً في هذا الراي الثالث اموراً يصعب ادراكها. فمن ذلك قول الانجيليّ يوحنا (٢٠:٧) انهُ كان على رأس السيد المسيح الشريف منديل فكيف يا تُرى لم يظهر اثر هذا المنديل في الكفن بل كيف ظهر الوجه والمنديل يغطّيهِ؟ ثم يظهر من رواية الاناجيل ان جسد المخلّص كان ملفوفاً بالكفن فكيف لم يبقَ في هذا الكفن اثر جانبي الجسد واحديدابهُ؟ هذا ان لم نقُل انّ اللفائف كانت تحول دون تصوير الجسد

هذه بعض مشاكل تمنعنا من التسليم بهذا الراي دون استثناء. الى ان تنجلي لنا الحقيقة. ولعلَّ القولَ بان هذه الصورة من معجزاته تعالى اصحّ واصدق كما يرتأي كثيرون من الكاثوليك والله على كلّ شيء قدير

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣ انهار لبنان: منافعها واسماؤها

منافع انهار لبنان جغرافيًا واقتصاديًا

ذكرنا غير مرّة غنى لبنان بينابيع المياه وما يتركّب على ذلك من الفوائد الهدروغرافيّة فنقول الآن انَّ من اعتبر هذه الجبل ورأى هيئتهُ وموقعهُ فهم ان قربهُ من البحر لا يسمح للانهار الجارية منهُ ان تتّسع أحواضها اتساعًا كبيرًا. والاحرى ان يقال ان اغلب انهار لبنان سيولٌ لا تتجاوز مسافة سيرها بضعة كيلومترات وهي تنحدر من مشارف الجبل وتندفع دفعةً واحدة الى البحر. وليس بين هذه الانهار نهر واحد يمكن زورقًا ان يجري فيهِ لكثرة انحراف هذه الانهار وما يتخلَّلها من الصخور في مسيرها. ونحن لا نذكر في هذا الباب من انهار لبنان الَّا ما لم ينضب ماؤهُ في فصل القيظ مباشرةً من الشمال الى الجنوب (١. وكذلك ضربنا صفحًا عن بعض التفاصيل الجغرافيّة التي تصلح لاحداث المدارس ليس في ذكرها كبير امر

١ النهر البارد شمالي طرابلس على مسافة بضعة كيلومترات منها. وهو الفاصل بين لبنان وجبل عكار = ٢ نهر ابي علي وهو المعروف بنهر قاديشا (٢ = ٣ نهر ابراهيم = ٤ نهر الكلب = ٥ نهر بيروت = ٦ نهر الدامور

وليس لهذه الانهار كلها من الجدوى سوى انّها تسقي بعض السهول الساحليّة

---

١) انَّ نهر العاصي يستمدُّ اكثر مياهِ من لبنان لكنَّ مسيلهُ خارج عنهُ

٢) لا نذكر نهر الجوز قرب البترون لانَّ ماءهُ ينقطع في فصل الصيف

فتخصب تربتها في مجاريها المختلفة الطول. وربّما كان هذا الخصب الناجم عن مياهها بليغًا. ولو اراد اهل بلادنا لانتفعوا من هذه المياه لغاية أُخرى وذلك بان يجعلوها كمحرّك لادوات كهربائيّة يتّخذونها لمعاملهم ولذلك سمّى البعض قوّة المياه في تحريكها بالفحم الابيض يريدون انّها تقوم مقام البخار ومواقد الفحم الحجري. ولمّا كان مهبط هذه المياه شديدًا وكمّيتها وافرة لا غرو أن ينجم عنها قوّة تناسب خيولًا بخاريّة عديدة كافية لتحريك ادوات ضخمة

على اننا نرى في مجاري هذه الانهار خللًا فان مصبّها يتّسع اتساعًا كبيرًا وذلك لما تأتي به المياه من التراب المجروف ولما يدفعهُ البحر الى الساحل من الرمل فتتكوّم هذه الموادّ في وجه النهر بحيث لا تقوى مياههُ على خرقها فتتدفّق جوانبهُ وتسيل المياه ذات اليمين وذات الشمال على مسافة واسعة. وربّما استنقعت هذه المياه فحدث عنها حُمّيات ملاريّة خبيثة. وهذا الانحراف في مجاري الانهار قد لحظهُ العلماء في البحار التي يضعف فيها المدّ والجزر. لكنّ هذا الخلل يسهل استدراكهُ بان يُحفر للنهر مسيل عند مصبّهِ. وكذلك تُنصب اشجار الاوكالبتوس على ضفافهِ لتزول بها وخامة الهواء.

وفي مقالتنا السابقة بيّنّا ان النهرين البارد وابا علي بما سحباهُ من التربة من اعالي لبنان طمّا جَوْن عكّار وكوّنا سهل طرابلس المعروف بجودة مزروعاتهِ. ولعلّ نهر بيروت اتى بما هو اغرب فعلًا منهما

فكلٌّ يعرف ان مدينة بيروت مبنيّة على شبه جزيرة يتّصل بها البحر شمالًا وغربًا وجنوبًا غربيًا. وقد ارتأى بعض العلماء ان مركزها انّما كان في سالف الزمان جزيرة تحدق بها المياه من كل جهاتها (١ فصارت مياه نهر بيروت والجداول المجاورة لهُ كوادي غدير ووادي شويفات تأتيها بالطين والتربة حتى ملأت البوغاس الذي كان في جهة بيروت الجنوبيّة الشرقيّة بينما كانت الرياح الغربيّة تحمل اليها رمالها فاصبحت بيروت متّصلة بالبرّ وجرى لها ما جرى لمدينة صور لمّا ابتنى لها اسكندر ذو القرنين سدًّا عظيمًا وصل بينها وبين البرّ فتراكمت الرمال على هذا السدّ فصارت شبه جزيرة بعد ان كانت المياه تكتنفها من كل اطرافها. ولا عجب فان انتشار الرمل على سواحل سوريّة امر ظاهرٌ فترى الرمل يتقدّم دون انقطاع. وممّا شهد على صحّتهِ الثقةُ ان معدّل امتداد الرمل

١) راجع كتاب ريتر (ص ٤٣٠)

في كل سنة بين مدينتي غزَّة ويافا يبلغ مترًا على التقريب

هذا وان اهل بيروت كانوا يتّخذون قديمًا ألواء الرمل سكنًا لهم ويزرعون فيها المزارع لان التربة التي يغطيها هذا الرمل طيّبة دسمة . والدليل على سكنى الاهلين فيها ما يجدهُ الحافرون من الخزف وقطع الزجاج القديم والمعادن والنواويس . والرمل قد نشر عليها كلّها رداءهُ وهو لا يزال يجري الى الامام . ومن يلاحظ حركتهُ المتواصلة يتأكد بانهُ في مدَّة ربع قرن قد اخفى عن العيان املاكًا متَّسعة لبعض الوجهاء . فالتهمها . ومنذ عهد قريب قد وجد البعض آثار بلدةٍ توارت تحت ألواء الرمل . وممّا أثبتهُ الشاعر نونُس(١ عن الطريق التي يسير فيها السائر عند خروجهِ من بيروت ميمّمًا صيداء انّها « رمليّة تظلّلها الاشجار ودوالي الكروم » على انَّ الشاعر لم يذكر التلال الرمليَّة التي تتخللها في يومنا هذا فتجري في وسطها وذلك دليلٌ على انَّ الرمل لم يَسطُ عليها بعد . ومن الثابت المقرَّر انَّ العوامل الطبيعيَّة لا تزال تذرّي هذه الرمال فتجرف مياه البحر وتنسفها الرياح حتى نكاد نرى حركتها رأي العين فما قولك بعملها على كرور الادهار لاسيَّما اذا اضفتَ الى هذه العوامل ظواهرَ أُخَر خارقة العادة كالزلازل والاهتزازات الارضيَّة التي ربَّما رفعت بخضيض الارض ومسيل الاودية . وفي سواحل فينيقية من آثار هذه الزلازل ما هو مشهور (راجع مقالتنا عن الزلازل في المشرق ١ : ٣٠٣ و٢ : ٩٧٠)

وممَّا يشهد على ما اصاب بيروت ونواحيها من الطوارئ الجيولوجيَّة انَّ هذه المدينة كانت في سالف الزمان مزدانة بعدَّة جزائر لا نرى اليوم منها اثرًا . فانَّ الشاعر اليوناني نونُس (٢ اشار اليها في جملة وصفهِ لبيروت فدعا هذه المدينة « الجميلة الجزائر εὔνησος » وهي لعمري شهادة حسنة اتى بها شاهدٌ عين سكن بيروت ردحًا من الدهر لم يفتهُ شيء من احوالها . وقد جاء في خارطة لاتينيَّة يرتقي عهدها الى القرن الثاني عشر رسم جزيرتين متوسّطتين في الكبر قريبتين من بيروت (٣ . وكذلك ورد في تواريخ الصليبيين انَّ الرهبان المعروفين باسم پريمنتراي (Prémontrés) كانوا

١) راجع كتاب نمره Dionysiaques, ch. 41, v. 40-45

٢) راجع الكتاب السابق ذكره (Chant 41, v. 15)

٣) راجع المجلَّة الفلسطينية الالمانية (Z D P V, XVIII)

يسكنون ديرًا موقعهُ في جزيرة على مقربة من بيروت (١. وفي هذه الشواهد ما يدلّ على انَّ هذه الجزر غير الصخور الثلاثة او الاربعة التي نراها اليوم عند راس بيروت او عند مصبّ نهرها

ولكن متى توارت هذه الجزائر؟ ليس لنا في ذلك نصّ صريح ومن المرجَّح انَّها انخسفت في الزلزال الذي ذكرهُ المقريزي في تاريخ المماليك (٢ في تاريخ سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) حيث قال ان سبع جزائر بين عكّة وطرابلس غاصت في لجج البحر. وقولهُ هذا يطابق الآثار التاريخيّة التي لم تعُد تذكر فيما نعلم الجزائر المجاورة لبيروت بعد القرن الثالث عشر

والنهران الاخيران اللذان يجريان في جنوب لبنان هما الاولي وهو نهر صيداء. ثم الليطاني الذي يحدُّ لبنان في جنوبهِ وهو نهر صور. ولكلا النهرين علاقة مع المدينة التي يجاورها وقد اغناها بمنافعه الجمّة الاقتصاديّة. ونهر الاولي يجري في منعطف لبنان الغربي ولا يتجاوز طولهُ ٤٥ كيلومترًا اما الليطانيّ فينفذ في وسط هذه السلسلة ويتخلّلها. ومنبعهُ في البقاع بين الجبلين الغربيّ والشرقيّ وطول مجراهُ ١٥٠ كيلومترًا. وخطرهُ عظيم من حيث الزراعة والاقتصاد لانهُ ليس فقط يفتح طريقًا في خلال الجبل كما يفعل الاولي ولكن ايضًا لانَّ هذه الطريق توصل ساحل مدينة صور بسهول فيحاء وبطائح غنّاء كالبقاع وغوطة دمشق ووادي العاصي. ولا غرو ان تجّار صور من الفينيقيين قدّروا هذه المنافع قدرها ونهجوا هذه الطريق رغبةً في الارباح البالغة

امّا وادي الاولي فهو دون وادي الليطاني شأنًا وخطرًا الآن انهُ اغنى منهُ واخصب وفي مسيره على ضفّتيهِ مسالك وطرق تفضي الى البقاع الى عدّة قرى كان الاهلون يقضون فيها فصل الصيف ويتاجرون بغلّاتها كما يفعل اهل صيداء في ايّامنا في القرى الواقعة قرب الباروك وجنوبي جزّين

ولولا الاولي والليطانيّ لما وُجدت صور وصيداء. فان بناتهما اختاروا مصبّ هذين النهرين لما كانوا ينتظرونهُ منهما من العوائد التجاريّة وهو الامر الذي جعل لهاتين الحاضرتين شأنًا تجاريًّا لم تبلغهُ بيروت وجبيل لخلوّهما من نهرين يجديانهما من المنافع ما احرزتهُ صيداء وصور بنهريهما (ستأتي البقيّة)

١) راجع المجلّة ذاتها (ج ١٠ ص ٢١٠ وج ٢١ ص ١١٦)

٢) راجع Quatremère : *Sultans Mamlouks, I, 1ère partie*, p. 145

الالتقاء الفاجع

للاديب نجيب افندي مشلاني

كانت احدى قرى لبنان حافلةً بالسكّان زاهيةً بالعمران وكان اهلها راتعين في بحبوحة الهناء وهم من القوم الوسط لا يعضّهم الفقر بنابهِ ولا يبطرهم الغنى بتوفّر اسبابهِ. يعيشون وهم راضون بما قسم الله لهم قنعون وكان للدين بينهم السهم الاعلى والحظّ الاوفى يجرون على وصاياه ويكرمون اربابهُ. وكان اذا تأمل احد امرهم غبطهم على صفاء عيشهم ورخاوة بالهم يرى السلام مخيّماً على قريتهم والانس ضارباً اطنابهُ في ظهرانيهم

ولمّا كان اصيل احد ايام أيّار من سنة ١٨٨٤ كان اهل القرية مجتمعين في الكنيسة لاقامة فرائض العبادة نحو البتول الطاهرة في شهرها المبارك. فلمّا انهوا صلاتهم خرجوا فجلسوا برهةً تحت السنديانة العظمى التي تظلّل باحة كنيستهم يتجاذبون اطراف الحديث. وبينما هم يتباحثون في شؤونهم اذ دخل في حلقتهم كهلٌ متزيّ بزيّ الاوربيين فابتدروهُ بالسلام ورحّبوا بهِ. وكان الرجل احد ابناء القرية كان هاجر الى اميركة وقضى فيها نحو خمس سنوات فعاد وفي جيبهِ بضعة آلاف من الدولار اكتسبها بعد شقّ النفس وباع في تحصيلها دينهُ ولم يَصُن ماء وجههِ

فاستخبره الحضور عن احوالهِ واستطلعوا طلعهُ فاخذ يقصُّ عليهم رحلتهُ الى اميركة الشماليّة ويصف لهم ما شاهد من عظائم العالم الجديد وحرّيتهِ المطلقة ويرغّبهم في عظم ثروتهِ وكثرة خيراتهِ. قال: كنتُ نظيركم اعمل في ارزاقي متحمّلاً عرق القربة لانال ما يكفيني وعيلتي وها انا اليوم بعد سنين قليلة صرفتها في كندا وافر النعمة البس الثياب الفاخرة واعيش عيشة رخاء وقريباً ابني الابنية الشاهقة واشتري الارزاق الواسعة فاذوق من هناء العيش ما لم يدُرْ على خلدي سابقاً

ما انهى الراوي كلامهُ حتى غلت في قلوب السامعين مراجل الطمع ونفث فيهم شيطان المال بسمّهِ الذعاف فذهب كلٌّ الى منزلهِ وهو يحلم بالغنى العاجل ولسان حالهِ يقول: «ما ضرَّ بي ان اتغرّب بضع سنوات عن الوطن ثم اعود اليهِ مثرياً فارتاح من مشاقّ الزراعة وتعب الارزاق »... وهكذا تبلبلت خواطرهم واضطرب بالهم وما زال

الخثاث يستفزهم بمكره ويوسوس اليهم بجدائه حتى شرعوا يسافرون افواجاً من ابن عشر السنوات فما فوق. ولم تمض سنة على هذه الحادثة حتى خلت القرية من السكّان ونعق فوقها الغربان فتشتّت شمل اهلها ولم يبق منهم ألا النسوة والاطفال والعجزى. امّا ارزاقها التي كانت زاهية نامية تأتي اصحابهـا بالخيرات الدارّة فانّها علاها الشوك والقرطب فاصبحت في حالة من الخراب والدمار ليس وراءها غاية

وكان بين الذين عمدوا الى المهاجرة رجل يدعى عبد الله قزما. فهذا قبل سفره ذهب الى الاب يوسف كاهن قريته ليودّعهُ ويتزوّد ببركته. وكان الاب رجلاً قديساً يعزّهُ الكل ويجلّونهُ لسموّ فضله. فلمّا وقف على قصد عبد الله تنهّد الصعداء ثم سألهُ:

— أتسافر وحدك ام تأخذ معك عيلتك ؟

— لا بل أسافر وحدي يا ابتِ

— انّ هذا عملٌ لا يليق بالمسيحيين . فكيف تنطلق وتترك امرأتك وصغارك دون عضد ولا مساعد ؟

— انني اعهد اليك الله بانني اعود اليهم بعد سنة او سنتين

— هذا قولٌ سمعناهُ من غيرك وها قد مرَّ عليهم سنون عديدة وهم حتى الآن نازحون عن الاوطان ناكثون بالأيمان. فناشدتك الله إلّا ان تبقى في بيتك او تصحب عيلتك معك. فانّ هجرك لبنيك وزوجتك ممّا ينافي الدين والآداب أفلا ترى ان الملاك لمّا ظهر ليوسف البارّ لم يوصه بان يخلّص الصبيّ وحدهُ بل قال لهُ: «خذ الصبيّ وامهُ واهرب الى مصر» كانهُ تعالى اراد ان يعلمنا انهُ لا يجوز للمرء ان ينفصل عن عيلته وهو رأسها. فبئس الجسم الذي ينفصل عنـهُ رأسهُ...

غير انَّ عبد الله الذي كان يطيع سابقاً مشورة رجل الله كباقي اهل قريته اضحى هذه المرّة عقوقاً لانَّ الطمع كان ضرب على بصره واصمَّ سمعهُ فلم يصغ ألّا الى صوت مطامعه

ومن ثم شدَّ صاحبنا مسافراً وترك امرأتهُ سعداء وصبيّاً لهُ يناهز الخامسة من عمره يدعى فارساً وابنة ترضع تدعى مرتا على امل انهُ يعود بعد سنة او سنتين

. . . .

تسع سنوات قد انقضت وعبـد الله في الولايات المتّحدة. وكان في اثناء السنين

الاولى يُرسل مرَّة بعد أُخرى الى قرينتهِ بعض دريهمات تستعين بها على قضاء حاجاتها لكنَّ هذه الصلات قلَّت شيئًا فشيئًا حتى انقطعت تمامًا كما انقطعت اخبارهُ عن امرأتهِ فخيّل لها بانهُ قد مات

وعندئذٍ لم يبقَ لسعداء من امل إلا في ولديها ترجو انهما يقومان بأودها لكنَّها بدلًا من ان تُحسن تربيتهما وتزرع في قلبهما بذر الفضيلة والادب كانت تربيهما بالغنج والدلال ولا تردُّ عنهما محرَّمًا وكانت ترغبهما في حطام الدنيا وتنفخ في صدرهما روح الطمع فنشأ الولدان على الجهل والعناد وشبّا على ركوب المعاصي لا يهمّان إلّا الى جمع المال واكتسابهِ بايّ وسيلةٍ كانت

ففي ذات يوم دعت سعداء فارسًا ولدها وقالت لهُ: ترى يا بنيَّ الى اي حالةٍ من الضيق حطَّ بنا الدهر امَّا ابوك فلا علم لنا بامورهِ منذ ستّ سنوات وما ادرانا ان كان حتى الآن في قيد الحياة. فهلمّ يا بنيّ ارسلك الى حيث محطّ الآمال ومورد الثروة فاذهب الى اميركا لعلَّك تغتني وتغنينا معك. اذهب ولا تعودنَّ ألَّا غانمًا

فما سمع الولد هذا الكلام حتى طار عقلهُ فرحًا وهو يظنُّ ان اميركا وراء لبنان وانهُ اذا وصلها كفاهُ ان يفتح فاهُ ليشبع من ذهبها

فبعد اسبوعٍ خرج فارس مع احد المهاجرين. وابحر الى نيويرك فلمَّا وصلها ولم يهدهِ احد الى منزل والده اضطرَّ الى ان يجول في ساحات المدينة يطلب عملًا يرتزق بهِ. وقرع ابوابًا جمة ليستخدمهُ احدٌ عندهُ او يعطيهُ بضاعةً يحملها في ارباض البلد فيبيعها باجرة معلومة. لكنهُ لم يجد مَنْ يعيرهُ اذنًا صاغية خوفًا منهم ان يأتمنوا على مالهم رجلًا من النصّابين. فبقي على ذلك مدَّةً حتى انفق آخر فلس كان في كيسهِ. فاحوجهُ الامر الى ان يدخل في خدمة احد السوريين مجَّانًا على شرط ان يعطيهُ قوتهُ اليوميّ. ولذلك لم يكسب مدّة سنتين شيئًا من الدراهم يبعث بها الى والدتهِ. وكانت هذه المسكينة تتقلَّب ليلًا مع نهار على جمر القتاد

فلمَّا طال انتظارها ولم تسمع لابنها خبرًا ارتابت بوصوله سالمًا فعمدت على ارسال ابنتها مرتا الولد الوحيد الذي بقي لها لتتسلَّى بهِ عن فقدان زوجها وولدها. فسافرت مرتا واصابها في اميركا ما اصاب اخاها واستخدمت نظيرهُ بما تسدُّ بهِ رمقها

كيف نصف يا تُرى ما ألمَّ بسعداء التعيسة الحظ من الحزن والغم عند ما رأت نفسها منفردةً ليس لها من يفكّر في امرها او يرثي لشقائها · ولمَّا كان قلبها منذ زمن مديد ملتصقًا بالارض لا تعرف من الدين الّا قشرتهُ لم تجد في العبادة الصحيحة ما تُلطّف به اوجاعها . . . ومما كان يزيد نار وجدها اضطراماً انها كانت ترى بعض المهاجرين يعودون من الغربة رابحين وهي تزداد فقرًا وشقاء تهدُّ ركنها الاشجان وتُطير همومُها الرقاد عن الاجفان . . . الى ان عيل صبرها فباعت دارها وسافرت لتلحق بزوجها وولديها . . . .

ولمَّا ألقت المركب مراسيها في ميناء نيورك وجدت سعداء احدى صديقاتها كانت اتت لملاقاة احد اقاربها فرحَّبت هذه بسعداء ودعتها الى بيتها فقصدتا شارع واشنطون حيث يسكن اكثر السوريين وكان طريقهما امام مجلس الحكومة حيث ازدحم جمٌّ غفير اكثرهم من السوريين وقد علت جلبتهم وكثر لغطهم فساقهما الفضول ان تتنسما الاخبار · وبينما هما تستخفيان عن الامر واذا بباب المجلس قد فُتح فسكت الجمع كأن على رؤوسهم الطير فتقدّم القاضي وبيده شقّةٌ تلاها بصوت جهوري: قد حُكم بالاعدام على فارس بن عبد الله قزما السوري لقتله مخدومهُ وولي نعمته طمعاً في سلب ماله وحُكم على مرتا اخته بسجن عشر سنوات لسرقتها حليّ معلمتها . . .

فما كاد يتمّ القاضي حكمهُ حتى رأى الجمهور رجلا وامرأةً سقطا مغشيًّا عليهما فنُقلا على آخر رمق الى المستشفى · ولمَّا افاقا وكلاهما بين حيّ وميت واذا بعبد الله قزما بازاء امرأته سعداء عرفها وعرفتهُ فصرخا صرخةً عظيمةً وسقطا جثتين هامدتين نُقلتا في يوم واحد وقبرتا مع جثّة ابنهما بعد شنقه . امَّا مرتا فانَّها ماتت بعد حين في السجن ايساً وكآبةً

مطبوعات شرقية جديدة

اسرار البلاغة في علم البيان

تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني

عُني بطبعهِ وتصحيحهِ السيّد محمَّد رشيد رضا في مطبعة الترقّي (سنة ١٣٢٠ ص ٢٥٧)

اهدانا الكاتب الفاضل منشئ مجلَّة المنار في مصر السيّد محمَّد رشيد رضا نسخةً

من هذا الكتاب الجليل الذي سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ . وهو مصنَّف كنَّا وقفنا على نسخةٍ منهُ مخطوطة وجدناها قبل بضع سنوات في الشهباء . فتمنَّينا لو يباشر طبعهُ احد الادباء . فحقّق الله اليوم امانينا وقرَّت عيننا بمشاهدتهِ مطبوعًا طبعًا متقنًا بحرفٍ مشرق وورق جيّد صقيل نقلًا عن نسخة كانت مصونة في احد بيوت العلم في طرابلس الشام بعد مقابلتها على نسخةٍ أُخرى في بعض دور الكتب السلطانيَّة في دار السلطنة السنيَّة . ومن مزايا هذا الكتاب أنهُ من أقدم ما وضعهُ العرب في فنّ البيان وعنهُ اخذ السكّاكي . وقد اشتهر مؤلّفهُ في القرن الخامس للهجرة وتوفّي سنة ٤٧١ (وفي كشف الظنون انَّ وفاتهُ سنة ٤٧٤) ولهُ عدَّة مؤلفات منها كتاب دلائل الاعجاز وشرح الايضاح والعمدة في التصريف . وقد اشتهر من كتب الجرجاني كتابهُ اسرار البلاغة الذي نحن بصددهِ ضمَّنهُ كلَّ ما يختصّ بعلم البيان كما شاع اليوم عند العرب فبحث بحثًا مدقّقًا في المجاز والاستعارة والتشبيه والتمثيل وما يلحق بهذه الابواب . ولهُ فصولٌ ذيَّلها بها كشؤون المعاني والاخذ والسرقة وعدَّة افادات وملاحظات تدلُّ على سعة معارف صاحبها وغوصهِ على اسرار الكلام . جازى الله خيرًا ناشر هذا الكتاب ومتَّع بفوائدهِ اهل الادب

الامومة عند العرب

نقلها عن الجرمانيَّة بندلي صليبا الجوزي

طُبع في قازان سنة ١٩٠٢ . ص ٦٦

هو كتاب قد وضعهُ بالهولنديَّة احد اساتذة كليَّة ليدن اسمهُ ج . ڤلكن ثمَّ نُقل الى الالمانيَّة ومنها الى العربيَّة . وغاية صاحبه ان يبيّن انَّ الزواج الشرعيَّ لم يكن معروفًا في الزمن القديم في المجتمع الانسانيّ وانَّما كان النكاح اشتراكيًّا . وهذه لعمري قضيَّة غريبة حاول الاستاذ ڤلكن ان يبرهنها بمثال بعض همج الشعوب الذين كان السفاح بينهم شائعًا ثمَّ خصَّص القول بالعرب في الجاهليَّة وجعل ما يُذكر عنهم من باب الشذوذ كالقاعدة الاصليَّة . وذلك ممَّا يخسّ في حقوق قدماء العرب لا نسلّم بصحتهِ وكذانا ان ننقض هذا القول بما قالهُ النعمان للملك كسرى فاثبتهُ ابن عبد ربّهِ في كتاب العقد الفريد . قال النعمان وهو يريد فضل العرب على سواهم من حيث الحسب والنسب :

« وامَّا انساب العرب واحسابها فليست امَّة الّا وقد جهلت اصولها وكثيرًا من اوَّلها الى آخرها . حتَّى انَّ احدهم يسأل عمَّن وراء ابيهِ دنيا فلا يعرفهُ وليس احد من العرب الّا يسمّي

آباءهُ ابًا فابًا احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومهِ ولا ينتسب الى غير نسبهِ ولا يدَّعي الى غير ابيهِ » ل . ش

شذرات

تقدُّم الكثلكة في الصين — انَّ ما نال الكثلكة في الصين قبل سنتين من المحن لم يوقف حركتها البتَّة بل كان سببًا لنموّها . وقد اطَّلعنا على قائمة الذين تنصَّروا في السنة المنصرمة فاذا هو يبلغ تيّفًا واربعين الفًا فضلًا عن ٧٥٠ اراتيكيًّا اهتدوا الى الايمان . وقد عمَّد المرسلون من اطفال الصينيين ١٣٢,٧٩٠ . واليوم عدد الكهنة في مملكة ابن السماء ٧٢٠ من المرسلين الغربيين و ١٣٢ من الكهنة الوطنيين يساعدهم ٢٤٧٤ معلمًا وللكاثوليك في الصين ٥٠٢٣ كنيسة او معبدًا و ٤٢ مدرسة اكليركيَّة و ٢٨١٢ مدرسة للاحداث و ٢٩٩ ميتمًا و ١٠٤ مستوصفات و ٦٧ مستشفى او مأوى للبرص

رأس الكنيسة — قرأنا تحت هذا العنوان فصلًا بقلم باسيل جباره من حماة حاول صاحبهُ ان يبيّن انهُ ليس للكنيسة رأس منظور وانَّ السلطة في الكنيسة هي للمجمع المسكوني . وهو قول غريب تنقضهُ آيات الانجيل الصريحة وتردُّهُ اقوال القديس يوحنا فم الذهب التي اوردها الاب ريغو في المشرق (٥ : ٧٦) راجع ايضًا مقالات الاب راي (المشرق ٣ : ٢ ثمَّ ٤٤٢ و ٤ : ٨٠٧)

جبَّار مصري — الجرالى فرنسة منذ عهد قريب شابٌّ مصريٌّ اسمهُ حسن علي اصلهُ من قرية في ضواحي القاهرة وعمرهُ ٢٧ سنة . وهو جبَّار يبلغ طولهُ متران و ٣٢ سنتيمترًا . وهو من عيلة كلُّ افرادها جبابرة فانَّ اباهُ يبلغ مترين و ٤ س وامهُ مترًا و ٩٦ س . ولهُ امرأة طولها متر و ٨٥ س ولدت لهُ ابنًا عمرهُ اليوم اربع سنوات وطولهُ متر و ٢٥ س

علاج جديد للسلّ — قد عالج الدكتور ج . كيسر (G. Kaiser) من ثمنًا ميكروب السلّ بالاشعَّة الزرقاء . فاتَّخذ لذلك حمَّامًا لونهُ بازرق متيلين اجاز فيهِ الاشعَّة المنبعثة من قوس كهربائي ثمَّ انفذ هذه الاشعَّة في جسم رجل مسلول . فما مرَّ على نفوذها في مسامّهِ نصف ساعة حتى تلف كلّ ميكروب السلّ . وقد لحظ

الدكتور المذكور خواصّ أُخر للإشعّة الزرقاء منها تخدير الاعضاء كما يفعل الكلوروفرم او الاثير

قنابل لاطفاء الحريق — قد اصطنع بعض العلماء قنابل يضعونها ١٥٠ سنتيمترًا مكعبًا من ابوسلفيت الصودا ومثل ذلك من الامونياك السائل مع ٥٠٠ جزء من الماء . فاذا حدث حريق رموا بهذه القنابل فوق النار فتتفلق وينطفئ بعضونها الحريق

آلة منبهة على الحريق — هي آلة جديدة وُضعت في فرنسة تتركّب من زجاجتين كرويّتين تُجعل في السُّفلى منهما وفي كميّة من الزئبق وسطهما عنق ضيّق يتّصل بجانبيه سلكان من البلاتين . فاذا صار حريق في المكان تمدّد الزئبق وارتفع الى المضيق عند السلكين فيوصل بينهما وللحال يُسمع صوت جرس دقاق متّصل بهما فينبّه صاحب البيت الى الخطر

الالكتروتيبوغراف — هي آلة عجيبة اخترعها المسيو مراي روزار (Meray - Rozar) في نورنبرغ وعرضها في باريس امام لجنة فحصتها وانالتهُ جائزةً عنها . وهذه الآلة تكتب وتصبُّ الحروف وتصفّها وتصلح اغلاط الطبع في وقت واحد وهي في الساعة تصفُّ ٥٠٠٠ حرف يحركها الكاتب باصابعهِ كما يدقّ اللاعب بالبيانو . وهي تدور بالكهرباء

الخيل العربيّة — قد اثبت المسيو بول مينين (P. Mégnin) في مجلّة الطبيعة الفرنسويّة ان الخيل الانكليزيّة التي تُتّخذ للسباق في انكلترة عربيّة الاصل . وهذه الجياد تتسلسلُ من فحول اشتراها الانكليز منذ مئتي سنة في الشام والعراق واليمن ونجد . واشهر هذه الفحول جواد اقتناهُ في جهات تدمر الانكليزي دارلي فدعاهُ باسمهِ « دارلي العربيّ » . فوجد اهل بريطانية فيهِ من الصفات ما رغّبهم في استجلاب غيرهِ ومذ ذاك الحين لم يعد الانكليز يسابقون الّا بالخيل العربيّة . وقد اشتهر نسل فرس يدعى « غدلفين العربيّ » اهداهُ باي تونس الى لويس السادس عشر فابتاعهُ الانكليز واولدوه خيلًا مطهّمةً منها المهر المدعو « إكليس » وهو اوسع الفحول الانكليزيّة شهرةً . وقد ألّف المسيو بول دي فلومنت (P.de Flaumont) كتابًا ضخمًا كلهُ في وصف هذا الفرس وما نالهُ من الجوائز في ميادين السباق

نتيجة مهاجرة اللبنانيين الى اميركة مماً قرَّرهُ الدكاترة المتخرّجون في مكتبنا الطبيّ في مؤتمرهم السنويّ الاخير انَّ اربعة اخماس العائدين الى لبنان بعد مهاجرتهم الى اميركة مصابون بالسلّ والامراض الزهريَّة. فلله ما اوخم نتائج هذا التغرُّب وان بقيت الحال على مجراها فسد الدم اللبنانيّ قبل عشرين سنةً. امَّا فساد الدين والادب فحدّث عنهُ ولا حرج

اسئلة واجوبة

س سُئلنا من بغداد ما هو كتاب « تعاليم الجزويت الخفيَّة » الذي ذكرهُ الضياء (ص ٤٣٩) ورجّح صحَّتهُ

تعاليم الجزويت الخفيَّة

ج هو كتاب طُبع اوَّلًا في كراكوفيا سنة ١٦١٢ في اللاتينيَّة غايتهُ التشنيع على الرهبانيَّة اليسوعيَّة بنسبة تعاليم سريَّة فاسدة الى ابنائها. امَّا مؤلف الكتاب فالارجح انهُ راهب طُرد من الرهبانيَّة لسوء سيرتهِ سنة ١٦١١ اسمهُ جيروم زاوروسكي فعمد الى الانتقام من اليسوعيين بوضع هذا الكتيِّب كما يفعل اليوم صاحب الضياء من الجزويت. وما كاد هذا الكتاب يظهر حتى رذلهُ الاساقفة الكاثوليك برمّتهم وحرّم قراءتهُ مجمع التفتيش في رومية سنة ١٦١٦ بل اقرّ اعداء اليسوعيين انفسهم انَّ الكتاب كذبٌ محض ولمّا طُبع في بيروت قبل بضع سنوات امرت حكومتنا السنيَّة بضبط نسخهِ لما تحقّقت من كذبهِ. وعلى كل حال اننا نتعهَّد لصاحب الضياء بسبق قدرهُ ٥٠٠٠ فرنك نؤدّيها اليهِ اذا امكنهُ ان يثبت ان لليسوعيين تعاليم سريَّة كما تُرى في هذا الكتاب او في غيرهِ. وان عجز عن ذلك لا نطلب منهُ الَّا مئة فرنك يعطيها لاحد المستشفيات في مصر

س سُئلنا الى ايّ سند قد استند المشرق في جوابهِ عن بطلان زواج رجل استرخص من السيّد البطريرك ان يتزوَّج بابنة عمّ لهُ تُدعى انيسة فتزوَّج باختها حنَّة دون مراجعة غبطتهِ

بطلان الزواج

ج السند في ذلك اتّفاق كل ارباب الذمَّة دون استثناء وفتاوى عديدة للكرسي الرسوليّ في هذا الشأن. امَّا السبب فانهُ ظاهر لأنَّ رخصة الرئيس مبنيَّة على طلب المسترخص فلا يجوز للمسترخص ان يتصرف بالرخصة الَّا حسب منطوق صاحبها ل. ش